وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

تأسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م
الوعي الإسلامي
AL-Waei AL-Islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

الإظهار

في مقام الإضمار
في القرآن الكريم

مفهومه - أغراضه - عناية المفسرين به

تأليف
د/ عبد الرزاق حسين أحمد

الإصدار الثاني والثلاثون
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

أصل هذا الكتاب بحث محكَّم منشور في مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية بجدَّة العدد التاسع، جمادى الآخرة ١٤٣١هـ.

الإظهار في مقام الإضمار
في القرآن الكريم

مفهومه - أغراضه - عناية المفسرين به

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

تأسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

Al-Waei Al-Islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
دولة الكويت - في مطلع كل شهر هجري

جميع الحقوق محفوظة

الإصدار الثاني والثلاثون
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

العنوان:
ص.ب ٢٣٦٦٧
الرمز البريدي ١٣٠٩٧ الكويت
هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ - ١٨٤٤٠٤٤
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

البريد الإلكتروني:
info@alwaei.com

الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.com

الإشراف العام:
رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

تصدير

الحمد لله الذي نوَّر بكتابه القلوب، وأنزله في أوجز لفظ وأعجز أسلوب، فأعيت بلاغته البلغاء، وأعجزت حكمته الحكماء، وأبكمت فصاحته الخطباء، وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول، وتظافر إيجازه وإعجازه، وتظاهرت حقيقته ومجازه، وتقارن في الحسن مطالعه ومقاطعه.

فالقرآن العظيم حجة الرسول ﷺ وآيته الكبرى، يقوم شاهداً برسالته ناطقاً بنبوته، دليلاً على صدقه وأمانته. وهو ملاذ الدّين الأعلى يستند الإسلام إليه في عقائده وعباداته وحكمه وأحكامه وآدابه وأخلاقه وقصصه ومواعظه وعلومه ومعارفه.

وهو عماد لغة العرب الأسمى، تدين له اللغة في بقائها وسلامتها وتستمد علومها منه على تنوعها وكثرتها وتفوق سائر اللغات العالمية به في أساليبها ومادتها.

وهو أولاً وآخراً القوة المحوّلة التي غيرت صورة العالم، ونقلت حدود الممالك وحولت مجرى التاريخ، وأنقذت الإنسانية العاثرة، فكأنما خَلَقت الوجود خلقاً جديداً.

لذلك كله كان القرآن الكريم موضع العناية الكبرى من الرسول ﷺ وصحابته، ومن سلف الأمة وخلفها جميعاً إلى يوم الناس هذا.

وقد اتخذت هذه العناية أشكالاً مختلفة، فتارة ترجع إلى لفظه وأدائه، وأخرى إلى أسلوبه وإعجازه، وثالثة إلى كتابته ورسمه، ورابعة إلى تفسيره وشرحه، إلى غير ذلك.

ومن أوجه العناية بهذا الكتاب الكريم ما قام به فضيلة الأخ الدكتور عبدالرزاق حسين أحمد من إعداد دراسة قرآنية تبحث في بلاغة القرآن الكريم، وتتناول أسلوباً من الأساليب البيانية التي استخدمها القرآن الكريم، وأسماه «الإظهار في مقام الإضمار» وهو أسلوب نفيس أبهر العلماء حتى قال قائلهم: «... الإظهار في موضع الإضمار أتى في القرآن الكريم كثيراً محققاً فوائد عظيمة وصلت به إلى قمة البلاغة، وتنسمت به ذرى الفصاحة وسنامها»(١).

وإن مجلّة الوعي الإسلامي لما استشعرت هذه المعاني اللطيفة التي تحتويها هذه الدراسة القرآنية النفسية، حرصت على أن تكون من ضمن إصداراتها الثقافية التي دأبت على إصدارها لتثري بها المكتبة الإسلامية، سائلين الله العلي القدير أن ينفع بهذا الإصدار، ويجعلنا ممن تشرف بخدمة كتابه العزيز.

مجلة الوعي الإسلامي
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

---

(١) انظر لغوية القرآن الكريم للدكتور صالح العايد (ص:١٣٧).

ملخص البحث:

عُني هذا البحث بإبراز أسلوب بلاغي رفيع، ورد في القرآن الكريم، وهو أحد أساليبه البيانية، ويُسمَّى بـ «الإظهار في مقام الإضمار» .

وقد اشتمل البحث على مقدمة وخمسة مباحث، تضمنت المقدمة الحديث عن أهمية الموضوع و الدراسات السابقة فيه.

وانتقل البحث بعد ذلك إلى تعريف بمصطلحات: الإظهار، والإضمار، وتحديد مفهوم «الإظهار في مقام الإضمار»، وفي ثنايا ذلك أشار البحث إلى العلاقة بين «الإظهار في مقام الإضمار» و«الخروج على خلاف مقتضى الظاهر»، كل ذلك مدعَّم بشواهد من القرآن الكريم .

كما عرض البحث خلاف أهل العلم حول تحديد أيهما الأسبق الإظهار أو الإضمار؟ مبيِّناً رأي كل قول ودليله .

ثم رصد البحث بعد ذلك الأغراض البلاغية والنكت البيانية لوضع الظاهر موضع الإضمار في القرآن الكريم .

وأخيراً أبان البحث أبرز المفسرين الذين كانت لهم عناية بتناول بلاغة «الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم».

وخُتم البحث بخاتمة تضمنت جملةً من النتائج، كما ذُيِّل بقائمة المصادر والمراجع التي أمدَّته بالمادة العلمية .

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمدا عبدُه ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً .

أما بعد: فإنَّ القرآن الكريم هو الكتاب العظيم الذي اجتمعت فيه عناصر الإعجاز في جوانبه المختلفة: الإعجاز البياني، والإعجاز العلمي، والإعجاز التشريعي، وإعجازه بالإخبار عن المغيبات .

وهو بحر زاخر بالكنوز والجواهر، فأساليب تعبيره بهرت عقول فرسان البيان حتى قال قائلهم – وهو الوليد بن المغيرة من أشد أعداء الإسلام -: «... فو الله ما فيكم من رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجز ولا بقصيدة مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إنَّ لِقوله الذي يقول حلاوةً، وإنَّ عليه لطلاوةً، وإنه لمثمرٌ أعلاه، مغدقٌ أسفلُه، وإنه ليعلو وما يُعلى، وإنه ليُحطِّم ما تحته»⁽¹⁾ .

ومن ثَمَّ كثرت الدراسات والأبحاث حول القرآن، ولا يزال هذا الموردُ معيناً لا ينضب، وما زالت أسرارُه باقيةً، وعجائبه ظاهرة، وسيظل يمنح البشريةَ من علومه ومعارفه، ومن أسراره وحِكمه الشيء الكثير .

وهذه الدراسة من بين الدراسات القرآنية التي تبحث في بلاغة القرآن الكريم، وهي تتناول أسلوباً من الأساليب البيانية التي استخدمها القرآن الكريم، وهو المسمى بـ «الإظهار في مقام الإضمار» .

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢ / ٥٥٠- ١٥٥) وصححه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، والبيهقي في دلائل النبوة (٢ / ٨٩١- ٩٩١)، وأورده السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥١/ ٢٧- ٣٧)، وعزاه للحاكم والبيهقي من طريق عكرمة عن ابن عباس .

فالقرآن الكريم يظهر عندما يكون الأمر بحاجة إلى إظهار، ويضمر عند ما يكون الضمير أنسب للسياق، ويصيب المعنى المطلوب باللفظ المناسب بعيداً عن التكرار والحشو، وذلك وجهٌ من وجوه إعجازه .

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

إنَّ أهمية هذه الدراسة تنبع من أهمية ما تتحدث عنه، ألا وهو بلاغة القرآن الكريم، وقد كان سبب اختياري لهذا الموضوع مبنياً على عدة دوافعَ، أبرزها:

١- أنَّ هذا الأسلوب من الأساليب التي استوقفتني كثيرا، واسترعت انتباهي أثناء قراءتي للقرآن الكريم .

٢- عدم وجود دراسة علمية متخصصة كتبت حول هذا الأسلوب، فالبلاغيون تناولوه ضمن موضوعات «أحوال المسند إليه» وبالتحديد: «الخروج على خلاف مقتضى الظاهر»، أو مباحث «الإطناب» . وأما المفسرون فقد جاء حديثهم متناثراً أثناء تفسيرهم للآيات التي برز فيها هذا الأسلوب .

٣- ومن الدوافع التي دفعتني إلى بحث هذا الموضوع هو قناعتي بأهمية البلاغة التطبيقية في القرآن الكريم(١)، فالارتباط الوثيق بين المصطلحات

---

(١) نظراً لأهمية البلاغة التطبيقية في القرآن الكريم فإنَّ نفسية الإمام السيوطي لم تهدأ ولم تستكن في تأليف التفسير إلى أن وضع كتابه (قطف الأزهار في كشف الأسرار)، يقول في مقدمة هذا الكتاب (١/٩٥- ٩٦):«وهذا كتاب شفعت به تلك، ونظَّمته معها في سلك، في أسرار التنزيل، أذكر فيه جمع ما وصل إلى علمي من كلام العلماء في النظم القرآني: من أسرار التقديم والتأخير، والتأكيد، والحذف والإيجاز والإطناب، والنكت البيانية من: التشبيه، والاستعارة، والكناية، والتعريض، والأنواع البديعية من: الالتفات، والتورية، والاستخدام، والجناس، والمشاكلة، والطباق، والمقابلة، إلى غير ذلك من أنواعه».

ولكنَّه توفي قبل إتمامه لهذا الكتاب، فوقف عند قوله تعالى في سورة التوبة ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ﴾ [التوبة: ٢٩].

البلاغية والنصوص القرآنية هو الذي يظهر الإعجاز البياني للقرآن الكريم، فالمتأمل في بلاغة الإظهار في مقام الإضمار، والإضمار في مقام الإظهار مثلاً، لا يتمالك نفسه إلا أن يكون معجباً بالأسرار والفوائد والنكت البلاغية التي تتناسب في مقام كل منهما .

٤- أشار إلى أهمية هذا الموضوع وفائدته وحاجة المفسر إلى معرفته غير واحد من أهل العلم قديماً وحديثا:

- يقول يحيى بن حمزة العلوي تحت عنوان: «الإظهار في موضع الإضمار»: «واعلم أنَّ هذا وإن كان معدوداً من علم الإعراب، لكن له تعلق بعلم المعاني، وذلك أنَّ الإفصاح بإظهاره في موضع الإضمار له موقع عظيم، وفائدة جَزْلة» (١) .

- ويقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله -: «وربما يُؤتى مكان الضمير بالاسم الظاهر، وهو ما يُسمَّى: «الإظهار في موضع الإضمار»، وله فوائد كثيرة تظهر بحسب السياق(٢) .

- وللدكتور صالح العايد كلمة نفيسةٌ في هذا المقام يقول فيها: «والإظهار يحسن في موضعه، كما هو الإضمار في موضعه، ولكنَّ الإظهار في موضع الإضمار أتى في القرآن الكريم كثيراً محققاً فوائد عظيمة وصلت به إلى قمة البلاغة، وتسنَّمت به ذرى الفصاحة وسنامها» (٣) .

- ويقول الباحث عبد الله بن حمد المنصور في أطروحته «مشكل

---

(١) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيى العلوي (٢ / ١٤٨) .

(٢) أصول في التفسير للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ص: ٥٣) .

(٣) نظرات لغوية في القرآن الكريم للدكتور صالح العايد (ص: ١٣٧).

القرآن الكريم»:«وللإظهار محل الإضمار، وللإضمار محل الإظهار أسبابٌ وأنواع، ليس هذا محلَّ إيرادها، وإنما الغرض بيان أنَّ بعض المفسرين قد يشكل عليه فهم الغرض والمعنى لعدم معرفته بهذا الأسلوب البلاغي الوارد في الآية»(١).

كل هذه الأسباب وغيرها حفزني إلى دراسة هذا الموضوع، فتابعت القراءة في كتب البلاغيين والمفسرين، أجمع متفرقاته، وألمُّ شتاته، فوجدت مادة علمية جديرة بإفرادها في بحث مستقل، تبرز مفهوم مصطلح «الإظهار في مقام الإضمار»، وأغراضه البيانية وتطبيقاته في القرآن الكريم، مع إبراز المفسرين الذين لهم عناية بارزة في هذا الميدان.

وآمل أن تكون هذه الدراسة ضمن الدراسات التي تسدُّ جانب النقص في مكتبة الدراسات القرآنية، فحسب علمي ثمة نقص واضح في دراسة أساليب القرآن البليغة الراقية .

كما آمل أيضا أن تكون هذه الدراسة سبباً وتشجيعاً لكتابة بحوث أخرى عن المصطلحات البلاغية القرآنية عندي، وعند غيري من الباحثين والدارسين .

---

(١) مشكل القرآن الكريم للأستاذ عبد الله المنصور (ص: ٣٠٦)، وهي أطروحة نال بها المؤلف درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وطبعتها دار ابن الجوزي عام ١٤٢٦هـ

خطة البحث:

انتظمت خطة هذا البحث في مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة .

أما المقدمة: فقد تناولت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره وخطة البحث والدراسات السابقة في الموضوع .

وتَمَّ تناول المباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: تعريف بمصطلحات: الإظهار والإضمار، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الإظهار لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف الإضمار لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: مفهوم مصطلح «الإظهار في مقام الإضمار» وعلاقته بالخروج على خلاف مقتضى الظاهر.

المبحث الثالث: الإظهار والإضمار بين الأصالة والتبعية .

المبحث الرابع: الأغراض البلاغية لوضع الظاهر موضع الضمير في القرآن الكريم .

المبحث الخامس: المفسرون الذين اعتنوا ببلاغة «الإظهار في مقام الإضمار» .

وفي الخاتمة أوردت فيها أبرز نتائج هذه الدراسة .

وإني لا أدَّعي أني قد وفَّيت لهذا الموضوع حقَّه، ولكن حسبي أني لممت أطرافه، وجمعت متناثره، فإن وفقت فذلك بفضل من الله وحده، وإن حصل تقصير أو خلل فهذا من طبيعة جهد البشر، وأسأل الله العليَّ العظيم أن يجعل هذا العمل المتواضع خالصاً لوجهه الكريم، وأن يرزقنا السداد في القول والعمل، وصلى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدراسات السابقة في الموضوع:

رغم اهتمام البلاغيين ومؤلفي علوم القرآن واحتفائهم بموضوع «الإظهار في مقام الإضمار» في ثنايا مؤلفاتهم، إلا أنَّ من الملاحظ أن التأليف المفرد لهذا الموضوع هو إمَّا نادر أو معدوم ، فقد أشار السيوطي في كتابيه : «الإتقان في علوم القرآن»(١)، و «معترك الأقران في إعجاز القرآن»(٢) إلى أنَّ لابن الصائغ(٣)(ت٧٧٦هـ) تأليفاً مفرداً ، وهو مؤلف مفقود(٤).

ولابن الأمير اليماني (ت١٢١٩هـ) مؤلف مخطوط بعنوان: السر المصون في نكتة الإظهار والإضمار في «أكثر الناس» و «أكثرهم لا يعلمون»(٥)، وقد جاء لفظ «ولكنَّ أكثر الناس» في «١١» موضعاً(٦)، ولفظ «ولكن أكثرهم» في «٩» مواضع في القرآن الكريم(٧).

---

(١) ينظر: (٢/ ٨٦٤) .

(٢) ينظر: (١/٣٦٢) .

(٣) هو الإمام محمد بن عبد الرحمن بن علي القاهري النحوي الشهير بابن الصائغ النحوي، من مشايخه: القونوي الشافعي، والقاسم البرزالي، من مؤلفاته: إحكام الراي في أحكام الآي، وشرح ألفية ابن مالك، توفي – رحمه الله – سنة (٧٧٦هـ) .
انظر ترجمته في: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للحافظ ابن حجر (٣/٣٠٣)، طبقات المفسرين للداودي (٢/١٨٥).

(٤) وعنوانه كما جاء في مقدمة «الإتقان» للسيوطي (١/٢٢)، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة: (٢/١٩٥٢) نشر العبير في إقامة الظاهر مقام الضمير .

(٥) ينظر: الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (التفسير وعلومه) (ص: ٧٩٧- ٧٩٨)، وفهرست مصنفات تفسير القرآن الكريم (٢/ ٩٢٥) .

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي (ص: ٧٥٨- ٧٥٩) .

(٧) ينظر: المصدر السابق (ص: ٧٥٩) .

وإذا أردنا أن نستعرض لمحات تاريخية في مؤلفات البلاغيين التي كان لها النصيب الأوفر في تناول هذا الموضوع نجد أنَّ عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧٤هـ) بيَّن أنَّ كلاًّ من الإظهار والإضمار قد يكون أبلغ من الآخر في مقامات محدَّدة⁽¹⁾، وعلَّل بعض صور الإظهار في مقام الإضمار، ومنها قوله: «أنك إذا حدثت عن اسم مضاف، ثم أردت أن تذكر المضاف إليه فإنَّ البلاغة تقضي أن تذكره باسمه الظاهر ولا تضمره»⁽²⁾.

ولم يتوسع السكاكي (ت٦٢٦هـ) في تناوله لهذا لمصطلح، بل اكتفى بذكر بعض الأمثلة التي يوضع الإظهار موضع الإضمار⁽³⁾، كما أنه أثنى على البلاغة التي يحملها هذا الأسلوب فقد قال: «وإنَّ هذا الباب متضمن للطائف فيه من الإطناب الواقع في موقعه ما ترى»⁽⁴⁾.

ولقي مصطلح «الإظهار في مقام الإضمار» عنايةً مميزة، وتوضيحاً للفرق بينه وبين بعض المصطلحات البلاغية الأخرى كالإيضاح بعد الإبهام على يد ضياء الدين بن الأثير (ت٦٣٧هـ)، يقول في معرض حديثه عن أهمية هذا المصطلح وفائدته في الدرس البلاغي: «وهذا إنما يُعمد إليه لفائدة، وهي تعظيم شأن الأمر الذي أظهر عنده الاسم المضمر أولاً»⁽⁵⁾.

وأفرد له يحيى العلوي (ت٧٤٩هـ) فصلاً خاصاً في كتابه «الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز» تحت عنوان: «الإظهار

---

(١) انظر: دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (ص: ١٦٤-١٦٥).

(٢) المصدر السابق (ص: ٤٠٠).

(٣) انظر: مفتاح العلوم للسكاكي (ص: ١٩٨).

(٤) المصدر السابق (ص: ٢٨٤).

(٥) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير (٢ / ٢١٣).

في موضع الإضمار»، وبدأه بقوله: «واعلم أنَّ هذا وإن كان معدوداً من علم الإعراب، لكن له تعلق بعلم المعاني، وذلك أنَّ الإفصاح بإظهاره في موضع الإضمار له موقع عظيم وفائدة جَزْلة، وهو تعظيم حال الأمر المُظهر والعناية بحقه»⁽¹⁾.

ثم ذكر بعض الأمثلة التطبيقية الواردة في القرآن الكريم .

وإذا التفتنا إلى الدراسات القرآنية نجد أنَّ الزركشي (ت٧٩٤هـ) أوسع من تحدث عن هذا المصطلح ومسائله من خلال كتابه «البرهان في علوم القرآن» في النوع السادس والأربعين تحت عنوان: في أساليب القرآن وفنونه البليغة، وأورد سبعة عشر سبباً من أسباب وضع الإظهار في موضع الإضمار⁽²⁾.

وإذا كان البلاغيون الذين سبقوا الزركشي في الحديث عن هذا المصطلح تناولوه تفريعاً وبياناً لأهميته، وإبرازاً للفوارق بينه وبين بعض المصطلحات البلاغية الأخرى، فإنَّ الزركشي استوعب الأسرارَ البلاغية والنكت البيانية التي يوضع الإظهار موضع الإضمار بأسلوب مبدع، وبحث نفيس، لم يسبقه به أحد، مما أكسبه حقاً أن يكون فارس الحلبة في هذا الميدان .

وأما السيوطي (ت٩١١هـ) من خلال كتابيه «الإتقان في علوم القرآن»⁽³⁾، و«معترك الأقران في إعجاز القرآن»⁽⁴⁾، وابن عقيلة المكي (ت١١٥٠هـ)في

---

(١) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيى العلوي (٢ / ١٤٨) .

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣/ ٥٩- ٧٣) .

(٣) ينظر: (٢/ ٨٦٤- ٨٦٧) .

(٤) ينظر: (١/ ٣٦٢- ٣٦٥) .

«الزيادة والإحسان في علوم القرآن»[١] فقد حذوا حذو الزركشي في ترتيب تلك الأسباب .

وللسيوطي أيضاً تنبيهاتٌ ولفتات رائعة لبيان بعض الأغراض البلاغية للإظهار في مقام الإضمار في كتابه «قطف الأزهار في كشف الأسرار»[٢] .

وفي كتاب «الإكسير في علم التفسير» للطوفي (ت ٧١٦هـ) بابٌ بعنوان: «في وضع الظاهر موضع الضمير تعظيماً أو تحقيراً »[٣].

وواضحٌ من هذا التبويب أنَّ الطوفي قد اكتفى بذكر غرضين من أغراض وضع الظاهر موضع الضمير .

ولا يفوتني أن أذكر هنا أنَّ بعض الدراسات القرآنية المعاصرة تناولت هذا المصطلح بشكل مقتضب في سياق مؤلفاتهم، ومن أبرز هؤلاء:

أولاً: سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله – في كتابه «أصول في التفسير»[٤].

ثانياً: الدكتور نور الدين عتر في كتابه «القرآن الكريم والدراسات الأدبية»[٥].

ثالثاً: الدكتور خليل الكبيسي في كتابه «علم التفسير أصوله وقواعده»[٦].

رابعاً: الدكتور فضل حسن عباس في كتابه «البلاغة فنونها وأفنانها»، وهو يرى أنَّ البيانيين لم يولوا العناية اللائقة لإبراز هذا الأسلوب، وإنما الذي

---

(١) ينظر: (٦/ ١٦٣ – ١٦٧) .

(٢) انظر على سبيل المثال: (١ / ٣٠٠، ٣٠١، ٤٢٨، ٤٤٣، ٥٢٢، ٦٢٣، ٦٧٣) (٢ / ٨٤٦، ١٠٤٧) .

(٣) انظر: الإكسير في علم التفسير للطوفي (ص: ٢١٥).

(٤) ينظر (ص: ٥٣– ٥٤).

(٥) ينظر: (ص: ٢٠٠– ٢٠٢) .

(٦) ينظر: (ص: ٢٦٣– ٢٦٥).

اعتنى به هم الكاتبون في علوم القرآن(١).

وأما عناية المفسرين واهتمامهم ببلاغة «الإظهار في مقام الإضمار» في ثنايا شرحهم للآيات القرآنية فقد أفردت لها مبحثاً خاصا سيأتي عرضه - إن شاء الله -.

---

(١) ينظر: (ص: ٥٠٥).

المبحث الأول: تعريف بمصطلحات: الإظهار والإضمار

المطلب الأول: تعريف الإظهار لغةً واصطلاحاً:

أولاً: تعريف الإظهار لغةً:

تدور مادة الإظهار لغة حول البيان والبروز وما قابل الإخفاء والإضمار، قال ابن فارس: «الظاء والهاء والراء أصل صحيح واحد، يدلُّ على قوة وبروز، من ذلك: ظهر الشيءُ يظهر ظهوراً، فهو ظاهر، إذا انكشف وبرز»(١).

وفي التنزيل ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١] أي برز واستعلن.

ثانياً: تعريف الإظهار اصطلاحاً:

الإظهار في الاصطلاح مصطلحٌ مستخدم في فنون عدَّة، فعند علماء التجويد هو: إخراج كل حرف من مخرجه من غير غنة ولا تشديد في الحرف المظهر(٢).

وعندهم كذلك: أن يؤتى بالحرفين... منطوقاً بكل واحد منهما على صورته موفَّى جميع صفته مخلصاً إلى كمال بنيته(٣).

وعند أهل البلاغة: فهو مصطلح ذات كلمة واحدة في بيان ضده الذي هو الإضمار(٤)، على حد قول القائل:

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/٤٧١) (مادة: ظهر) .

(٢) بغية المريد من أحكام التجويد لمهدي الحرازي (ص: ١٣٢) .

(٣) معجم المصطلحات في علمي التجويد والقراءات للدكتور إبراهيم بن سعيد الدوسري (ص: ٢٩) .

(٤) ينظر: معجم البلاغة العربية للدكتور بدوي طبانة (٢/ ٥١١) .

وبضدها تتميز الأشياء

وكثيراً ما يأتي مركباً من عدة كلمات كقولهم: الإظهار في مقام الإضمار، وسنبين المعنى المقصود لهذا المصطلح المركب .

المطلب الثاني: تعريف الإضمار لغة واصطلاحاً:

أولاً: تعريف الإضمار لغةً:

الإضمار لغةً هو الإخفاء، يقال: أضمر الشيء: أخفاه، ويقال: أضمر في نفسه شيئاً: أي عزم عليه بقلبه، والضمير: المضمر الذي تخفيه في نفسك، ويصعب الوقوف عليه، وهو السر، وداخل الخاطر⁽¹⁾.

ومن معاني مادة (ضمر) اللغوي أيضاً: الهزال، يقال: فرس ضامر، وفي التنزيل ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج: ٢٧] أي الإبل المهازيل .

والإضمار والضمير والمضمر كلُّها ألفاظ ذات مدلول واحد .

وهاهنا تنبيه تجدر الإشارة إليه: وهو أنَّ المدرسةَ الكوفية في النحو يُسمون الضمير كنايةً ومكنياً، فهما من قبيل الأسماء المترادفة⁽²⁾، أما البصريون فيرون أنَّ الضمائر نوع من المكنيات، فكل مضمر مكني، وليس كل مكني مضمراً ⁽³⁾.

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٣/٣٧١)، والقاموس المحيط للفيروز آبادي (ص: ٥٥١) مادة (ضمر) .

(٢) انظر: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو للدكتور مهدي المخزومي (ص: ٣١٤)، ومصطلحات النحو الكوفي في دراستها وتحديد مدلولاتها للدكتور عبدالله الخثران (ص:٦١).

(٣) انظر: شرح المفصل لابن يعيش (٣/ ٨٤).

وعند تأمل مصطلحي الكوفيين والبصريين يمكن **الخلوص** إلى أنَّ «البصريين نظروا إلى لفظ الضمير **أو شكله، فعبَّروا عنه بهذا المصطلح** ؛ لما لاحظوا فيه من ضمور لفظه حال **الظهور، واختفائه أحياناً** أخرى، على حين نظر الكوفيون إلى الجانب الدلالي، **حيث تعد الضمائر** من الكلمات ذات الدلالات الإشارية غير الصريحة، **فعبَّروا بالكناية والمكني**»(١) .

ثانياً: تعريف الإضمار اصطلاحاً:

الإضمار في الاصطلاح هو: إسقاط **الشيء لفظاً لا معنى، قال** الكفوي: «الإضمار ما ترك ذكره من اللفظ، وهو **مرادٌ بالنية**»(٢) .

---

(١) مصطلحات النحو الكوفي (ص: ٦١) .

(٢) الكليات لأبي البقاء الكفوي (ص: ٣٨٤).

المبحث الثاني: مفهوم مصطلح « الإظهار في مقام الإضمار » وعلاقته بالخروج على خلاف مقتضى الظاهر

إنَّ من ينظر إلى مصطلح «الإظهار في مقام الإضمار» عبر الأزمنة يجد أنَّه مصطلحٌ بلاغي، جرى على ألسنة الكثير من العلماء قديماً وحديثاً، ومعناه: أن يكون السياقُ يقتضي أن يُؤتى بالضمير، ولكن يُؤتى بالظاهر مكان الضمير(١).

وأما علاقة الإظهار في مقام الإضمار بالخروج على خلاف مقتضى الظاهر، فلعل من المستحسن قبل الخوض في ذكر تلك العلاقة أن نبين معاني المصطلحات التالية؛ لنحدد بدقة مدى تلك العلاقة ونوعها، وهي: مقتضى الحال، ومقتضى الظاهر، والخروج على خلاف مقتضى الظاهر .

مفهوم مقتضى الحال: هذا المصطلح يصادف كل متأمل في كتب البلاغة عند تعريفهم للبلاغة؛ إذ يقولون: البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال(٢)، ولسنا هنا بصدد تعريف علم البلاغة، ولكن نهدف من ذلك توضيح هذا المصطلح .

فمقتضى الحال إذاً: الاعتبار المناسب الذي يستدعي اشتمال الكلام على سمات وخصائص أسلوبية تناسب المقام(٣).

---

(١) شرح أصول في التفسير للشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله – (ص: ٣٠١).

(٢) تلخيص المفتاح للخطيب القزويني (ص: ١٨)، ومعجم البلاغة العربية للدكتور بدوي طبانة (١٠٢/١) .

(٣) ينظر: التلخيص في علوم البلاغة للقزويني، ضبط وشرح عبد الرحمن البرقوقي (ص: ٣٣- ٣٥)، ومعجم البلاغة العربية للدكتور بدوي طبانة (٢ / ٧١٠) .

وللمزيد من التوضيح نقول: إن الأصل أن يكون الكلام مطابقاً لمقتضى الحال وفق الحالات التالية:

الحالة الأولى: الخطاب الموجه إلى خالي الذهن، وهو مجردٌ من التوكيد ؛ وذلك لعدم حاجته، كقوله تعالى لمن لا ينكر وليس شاكاً: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ ﴾ [آل عمران: ١٢٩].

الحالة الثانية: الخطاب الموجه إلى متردد شاك، ويستحسن له تأكيده بمؤكد تقوية للخطاب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ ﴾ [المائدة: ٩٠].

الحالة الثالثة: الخطاب الموجه إلى منكر، ويكون مصحوباً بمؤكِّدين أو أكثر حسب درجة الإنكار قوةً وضعفا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ [يس: ١٦]، ففي هذا المثال عدَّة مؤكِّدات وهي:

- قوله تعالى: ﴿ رَبُّنَا يَعْلَمُ ﴾ [يس: ١٦] وهي عبارة مشعرة بمعنى القسم .

- « إنَّ» وهو حرف تأكيد .

- لام الابتداء المذكورة في قوله تعالى: ﴿ لَمُرْسَلُونَ ﴾ [يس: ١٦] .

- **اسمية الجملة** (١).

هذا الترتيب في مراعاة الخطاب هو مقتضى الحال ومقتضى الظاهر في آن واحد(٢).

مفهوم «الخروج على خلاف مقتضى الظاهر»: سبق أن الأصل أن يكون الكلام قد جرى على مقتضى ظاهر الحال، وقد يعدل عنه لنكتة ولاعتبارات بلاغية، هذا العدول هو المسمى بـ « الخروج على خلاف مقتضى الظاهر» (٣).

فعلى المخاطب أن يبحث عن سبب العدول مستعيناً بالقرائن وسياق الكلام مع كونه ذا ذوق بلاغي سليم.

وخروج الخبر على خلاف مقتضى الظاهر له صور لخصها البلاغيون فيما يأتي:

الصورة الأولى: تنزيلُ خالي الذهن منزلةَ السائل المتردد:

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا

---

(١) كون الجملة الاسمية من المؤكدات خلافٌ عند البلاغيين، وقد قامت الدكتورة بلقيس بنت محمد الطيب ببحث عنوانه: التوكيد بالجملة الاسمية: دراسة بلاغية، وهو منشور في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (العلوم الشرعية والعربية)، العدد السادس، محرم ١٤٢٩هـ.

(٢) ينظر: شرح التفتازاني على التلخيص (١/ ٦٣)، وخصائص التراكيب: دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني للدكتور محمد محمد أبو موسى (ص: ٤١- ٤٥)، والمعاني في ضوء أساليب القرآن للدكتور عبد الفتاح لاشين (ص: ٩١- ٩٣) .

(٣) ينظر: معجم البلاغة العربية للدكتور بدوي طبانة (١/ ٢٣٩) .

وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٣].

هذا النص يثير تساؤلاً في نفس المخاطب، ويستشرف ويتطلع إلى فائدة هذه الصلاة، فجاء الجواب مشتملاً على مؤكِّدين: «إنّ» و«الجملة الإسمية» تنزيلاً له منزلة السائل .

الصورة الثانية: تنزيل غير المنكر منزلةَ المنكر إذا ظهر عليه شيء من علامات الإنكار:

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٥- ١٦]، فالمخاطبون في الآيات من المؤمنين لا ينكرون حقيقة الموت، وعلى هذا كان مقتضى الظاهر أن يلقى خالياً من التوكيد، فما السبب والدواعي في إلقاء الخبر مصحوباً بأدوات التوكيد ؟

السبب هو ظهور علامات الإنكار عليهم، فنسياتهم للموت، وغفلتهم المستمرة، وأعمالهم وأحوالهم، كل ذلك جُعل من علامات الإنكار، فنُزِّلوا منزلة المنكرين لحقيقة الموت، وألقي الخبر إليهم مؤكَّداً بمؤكِّدين هما: «إنّ» و «لام الابتداء» .

الصورة الثالثة: تنزيل المنكِر منزلة غير المنكِر:

ومثال ذلك قوله تعالى ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ [النحل: ٢٢].

هذه الآية من سورة النحل المكية، وأهل مكة كما هو معلومٌ كانوا ينكرون

وحدانية الله تعالى، فكان مقتضى الظاهر أن يُلقى إليهم الخبر مقترناً بأدوات التوكيد، ولكن خرج عن مقتضى الظاهر، وألقي إليهم الخبر مجرداً من التوكيد كما يُلقى إلى غير المنكرين .

ونظائر هذه الصورة قوله تعالى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [غافر: ٢].

فالخطاب هنا موجَّهٌ إلى المشركين المنكرين بأنَّ القرآن منزل من عند الله، وقد جُرِّد الخبر من المؤكدات بجعل المنكر كغير المنكر؛ لما بين يديه من الأدلة لو تأمَّلها لارتدع عن إنكاره⁽¹⁾.

ومما تقدم يتضح بجلاء أن العلاقة بين الإظهار في مقام الإضمار والخروج على خلاف مقتضى الظاهر علاقة جزء من كل، فهو يندرج ضمن موضوعات «الخروج على خلاف مقتضى الظاهر» لداعٍ من الدَّواعي البلاغية، ومن تلك الموضوعات: الالتفات، والأسلوب الحَكيم، ووضع الخبر موضع الإنشاء وبالعكس، والانتقال من الماضي إلى المضارع وبالعكس، فهذه الموضوعات كلُّها خروج على خلاف مقتضى الظاهر، وقد درسها البلاغيون تحت هذا الإطار⁽²⁾.

---

(١) ينظر: تلخيص المفتاح (ص: ٣٣- ٣٤)، وفيض الفتاح على نور الأقاح لسيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم الشنقيطي (١/ ٥٤ – ٥٥)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢٤/ ٧٨ – ٧٩)، والمعاني في ضوء أساليب القرآن (ص: ٩٥) .

(٢) ينظر: تلخيص المفتاح (ص: ٨٢- ٩٢)، وفيض الفتاح (١/ ١٣٣-١٤٩).

المبحث الثالث: الإظهار والإضمار بين الأصالة والتبعية

اختلف أهل العلم في تحديد أيهما الأسبق، فيكون أصلاً للآخر، الإظهار أو الإضمار؟ على قولين:

ولكل قول سنده الذي يستند إليه، ومنبعه الذي يستقي منه، وإليك بيان ذلك:

القول الأول: الأصل في الأسماء الإضمار، ثم يكون الإظهار بعد ذلك.

دليل القول الأول:

إنَّ أول أحوال المتكلم أن يخبر نفسه ومخاطبه فيقول: أنا، وأنت، وهما ضميران لا ظاهر لهما، فعلم بذلك أن الضمير أقدم من الظاهر(١).

القول الثاني: إنَّ الظاهر أصلٌ للضمير.

أدلة القول الثاني:

استند أصحاب هذا القول إلى الأدلة التالية:

الدليل الأول: أنَّ الغرض من مجيء الضمير هو الاختصار والإيجاز، فكيف يكون إذاً أصلاً للاسم الظاهر؟(٢).

الدليل الثاني: أنَّ علماء اللغة حملوا لفظي «كلا وكلتا» على حكم المفردات إذا أضيفتا إلى الظاهر، وعلى حكم المثنى إذا أضيفتا إلى الضمير، وقد علَّل ابن الشجري ذلك بأنَّ الإعراب بالحركات أصلٌ للإعراب بالحروف، وأنَّ

---

(١) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس (ص: ٢٥٥).

(٢) ينظر: اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري (١/٤٧٤).

الظاهر أصل للمضمر، **فيحمل الأصل** على الأصل، والفرع على الفرع (١).

الدليل الثالث: أنَّ الإضمار فيه إبهامٌ لا تستقيم معه الفائدة إلا إذا كان هناك مفسِّر **يعود عليه يكشف إبهامه،** ويزيل غموضه، وهذا لا يكون إلا اسماً ظاهراً(٢) .

الجمع بين القولين:

يمكن **الجمع بين القولين؛ وذلك** بالرجوع إلى تحديد نوع الضمير، فمن قال: إنَّ **الضمير أصلٌ للظاهر، نظر إلى** ضميري التكلم والخطاب، حيث لا ظاهر **لهما يخلفانه.**

ومن قال: **إنَّ الظاهر أصل للمضمر،** فقد نظر إلى ضمير الغائب؛ إذ ليس هناك **خلافٌ** بين **أهل العلم في** أنَّ ضمير الغائب كنايةٌ عن الظاهر، ومثال ذلك **قوله تعالى:** ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ **[العنكبوت: ١٧].**

فالضمائر: **(اعبدوه — له — إليه)** كنايةٌ عن الاسم الظاهر، وهو لفظ الجلالة، وهنا يتضح **أنَّ الإضمار بمثابة النائب** فيقدم عن أصله عند تحديد الأسبقية.

كما يمكن **الجمع أيضا** بين **القولين** على رأي الزركشي الذي ينظر المسألةَ باعتبارين مختلفين: **ففي الأسبقية الأصل** في الأسماء عنده أن تكون ظاهرةً، وعند ما يذكر **ثانياً الأصل فيها الإضمار** للاستغناء عنه بالظاهر السابق(٣).

---

(١) ينظر: الأمالي لابن الشجري (١/٢٩٢) .

(٢) ينظر: الصفوة من القواعد الإعرابية للدكتور عبد الكريم بكار (ص: ٩٨) .

(٣) انظر: البرهان للزركشي (٣/٦١).

المبحث الرابع: الأغراض البلاغية لوضع الظاهر موضع الضمير في القرآن الكريم

يمكن إيضاح الأغراض البلاغية من إقامة الظاهر مقام الضمير في القرآن، بعد ضم النظير إلى نظيره في الأنواع الآتية:

الغرض الأول: زيادة التقرير والتمكين:

ومن أمثلة هذا الغرض:

أ - قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ .

مقتضى الظاهر أن يكون التعبير: «هو الصمد»، ولكنه استعمل الاسم الظاهر بدل الضمير؛ لتوكيد وتمكين إسناد الصفات في السورة إلى الله عز وجل(١).

يقول الدكتور محمد محمد أبو موسى: «وآثر المُظهر على الضمير؛ لأنَّ للفظ الجلالة بمدلوله الكريم وقعاً عظيماً في القلوب، والمراد تمكين الألوهية»(٢).

والمتأمل في بعض روايات سبب نزول السورة يجد التناسب التام بين نكتة الإظهار في مقام الإضمار هنا وبين تلك الروايات، فقد أورد الواحدي في أسباب نزوله: «أنَّ ناساً من أهل الكتاب قالوا للنبي ﷺ: صف لنا ربَّك، فإنَّ الله أنزل نعته في التوراة، فأخبرنا من أيِّ شيء هو؟ ومن أيِّ

---

(١) انظر: مشكل إعراب القرآن الكريم لمكي بن أبي طالب (٢/٨٥٢)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٥/١٩٩)، وفيض الفتاح (١/ ١٣٧)، والتحرير والتنوير (٣٠/ ٦١٧).

(٢) خصائص التراكيب (ص: ٢١٣) .

جنس هو؟ من ذهب هو أم من نحاس أم فضة؟ وهل يأكل ويشرب؟ وممن ورث الدنيا ومن يورثها ؟ فأنزل الله تبارك وتعالى هذه السورة، وهي نسبة الله خاصة»(١).

فجاء الرد من الله سبحانه وتعالى بأنَ الله هو الواحد، الله الصمد «على طريقة إلقاء المسائل على المتعلم ... ولهذا الاعتبار وقع إظهار اسم الجلالة»(٢).

ولأهمية ضمير الشأن في مثل هذا السياق أُتي به من أجل تحقيق وتقرير ما بعده، وليكون أداة تنبيه يدفع المرء إلى إصغاء الكلام القادم، جاء في روح المعاني: «والسرُّ في تصديرها به – أي جملة ضمير الشأن – التنبيه من أول الأمر على فخامة مضمونها مع ما فيها من زيادة التحقيق والتقرير، فإنَّ الضمير لا يفهم منه من أول الأمر إلا شأن مبهم، له خطر جليل، فيبقى الذهن مترقباً لما أمامه مما يفسره ويزيل إبهامه، فيتمكن عند وروده له فضل تمكن»(٣).

ب – ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٨]، فقد وضع الظاهر موضع الضمير في موضعين:

---

(١) أسباب النزول للواحدي (ص: ٤٧١) .

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/٦١٧) .

(٣) روح المعاني (٣٠/٢٦٩).

الأول: قوله: ﴿ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ بدل الضمير «وما هو منه».

الثاني: قوله: ﴿ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ بدل الضمير «وما هو من عنده».

والسر البلاغي في ذلك هو زيادة التمكين والتقرير في نفس المخاطب، وإشعاره بمكانة المُنزِل والمُنزَّل، وهكذا جاء التعبير بالظاهر بدل الضمير(١).

يقول ابن عاشور: «وتكرير ﴿ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ في الآية مرتين، واسم الجلالة أيضا مرتين؛ لقصد الاهتمام بالاسمين، وذلك يجر إلى الاهتمام بالخبر المتعلق بهما، والمتعلقين به»(٢).

جـ- ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [غافر: ٦١].

أظهر لفظ: ﴿ ٱلنَّاسِ ﴾ هنا بدل الإتيان بضمير يعود عليهم؛ لما في ذلك من التقرير والتمكين.

ومما يلفت النظر في هذا المثال أنَّ هناك نظائرَ لهذه الآية وجاء سياقها بالإضمار كقوله تعالى في سورة يونس: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يونس: ٦٠] فما الفرق في تلك المتشابهات المتغايرة بين الإظهار والإضمار ؟.

---

(١) انظر: البرهان للزركشي (٣ /٦٥)، والإتقان للسيوطي (٨٦٥/٢)، والزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي (١٦٣/٦)، وروح المعاني (٣/ ٢٠٤) .

(٢) التحرير والتنوير (٢٩٢/٣).

نجد الجواب عند ابن الزبير الغرناطي(١) في كتابه «ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل»(٢) إذ يقول: «والجواب - والله أعلم - أنَّ آية غافر لما تقدمها قوله تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر: ٥٧]، ومقصود هذه الآية تحريك الخلق للاعتبار والتذكير بما نصب سبحانه من الدلائل والآيات، فاقتضى ذلك تكرار الظاهر كما في آية التذكير والتنبيه، ثم جيء بعد هذا بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ فنوسب بين هذا وما تقدَّم لتجيء هذه الآي على منهاج واحد من التذكير، فاقتضت الثانية تكرير الظاهر، وأما آية يونس فإنما تقدمها تأنيس... ولم يتقدم تكرير يطلب بمناسبة؛ فلذلك ورد الكلام على ما هو الأصل من الإتيان بالضمير ليحصل به ربط الكلام، فجاء كل من الموضعين على ما يقتضيه ما قبله رعياً لتناسب الكلام»(٣).

د - ومنه قوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾ [الروم: ٤١].

---

(١) هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير أبي جعفر الغرناطي، من علماء الأندلس، من مؤلفاته: البرهان في تناسب سور القرآن، وملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، توفي - رحمه الله - سنة (٧٠٨هـ). ترجمته: الدرر الكامنة (١/٨٩).

(٢) هذا الكتاب من أوسع الكتب المؤلفة في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، وهو مطبوع بتحقيقين: الأول تحقيق الدكتور سعيد الفلاح، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، وأما الآخر فقد قام به الدكتور محمود كامل، ونشرتها دار النهضة العربية، بيروت .

(٣) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل (١/٦٢٤-٦٢٥).

فلو جرى الكلام على مقتضى الظاهر لقيل بالإضمار: بما كسبت أيديهم، ولكنَّه عبَّر بالاسم الظاهر لقصد التقرير والتمكين .

قال ابن عاشور: «فالإتيان بلفظ: ﴿ٱلنَّاسِ﴾ في قوله: ﴿بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾ إظهار في مقام الإضمار؛ لزيادة إيضاح المقصود، ومقتضى الظاهر أن يقال: بما كسبت أيديهم»(١) .

ومما جاء من هذا القبيل الآيات التالية:

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗۖ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩].

﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ﴾ [الإسراء: ١٠٥].

﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ﴾ [المجادلة: ٢].

وإلى هذا الغرض أشار صاحب «الجوهر المكنون» بقوله(٢):

أو عكسٍ أو دعوى الظهور والمدد   لنكتة التمكين كالله الصمد

الغرض الثاني: قصد التعظيم والتفخيم:

ويتمثل هذا الغرض في بعض الآيات القرآنية التي احتوت على أسماء ذات منزلة عظيمة، كأسماء الله الحسنى، وأسماء رسله وأنبيائه، وملائكته، ومن أمثلة ذلك:

أ- قوله تعالى: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ

---

(١) التحرير والتنوير (٢١ /١٠٩) .

(٢) حلية اللب المصون بشرح الجوهر المكنون (ص: ٨٥) .

﴿ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

فوضع لفظ الجلالة «الله» مكان ضميره في قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ﴾؛ لأنَّ إظهاره هنا يوحي بالجلال والعظمة مع مجيئه في سياق بدء الخلق، وقدرته على إنشاء النشأة الآخرة.

ب- قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ ﴾ [التوبة: ٤٠].

قرئ لفظ «وكلمة» بالنصب ليعقوب، وبقية القراء بالرفع[1]، ولا شاهد في قراءة الرفع.

أما قراءة النصب ففيها وضع الظاهر موضع الضمير؛ إذ مقتضى الظاهر أن تكون: وكلمته، ولكنه عدل إلى الظاهر لنكتة التعظيم والتفخيم[2].

جـ- قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

المتأمل في سياق هذه الآية يجد أنها تتحدث عن مفاهيم الولاء والبراء، موالاة أولياء الله الصالحين، ومعاداة أعدائه ولو كانوا أقرب الأقربين ﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ ﴾،

---

[1] انظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة لأبي حفص النشار (٢/٣٤- ٣٥).

[2] انظر: إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس (٢/٢١٦)، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي (٦/ ٥٣).

ولهذا ناسب إعادة لفظ: ﴿ حِزۡبَ ٱللَّهِ ﴾ تعظيماً وتفخيما لذلك الحزب الذي شرف بانتسابه لرب العزة جلَّ جلاله، وكان مقتضى الظاهر أن يقال: «ألا إن حزبه» بالإضمار، ولكنَّ المقام مقام تعظيم وتفخيم كما سبق، فأتى بالاسم الظاهر بدل الإضمار⁽¹⁾.

د- ومن الأمثلة الدالة على قصد التعظيم والتفخيم قوله تعالى في ختام آية الدين: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

فقد كرَّر في الآية لفظ الجلالة «الله» ثلاث مرات دون إضمار في المرة الثانية والثالثة، والسر البلاغي لذلك هو تعظيمه وتفخيمه.

وآية الدَّين أطول آية في القرن الكريم، وقد قيل إنها أحدث الآيات بالعرش⁽²⁾، واشتملت على عدد كبير من الأحكام من الأوامر والنواهي حتى إنَّ القرطبي – رحمه الله – ساق في تفسيره اثنتين وخمسين مسألةً لهذه الآية⁽³⁾.

ما أجمل إذاً أن تختتم آية هكذا شأنها بهذه الجمل الثلاث التي احتوت

---

(١) انظر: البرهان (٦٢/٣)، والإتقان (٢/ ٨٦٥)، والزيادة والإحسان (١٦٤/٦)، وروح المعاني (٢٧/ ٣٣).

(٢) هذا القول منسوب إلى سعيد بن المسيب كما ذكره القرطبي في تفسيره (٤٢٣/٤)، وهو قولٌ مرجوح، والصحيح أنَّ آخر ما نزل من القرآن كله هو قوله تعالى في ختام آيات الربا ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨١].
انظر الرواية الصحيحة الواردة في هذا الشأن عن ابن عباس في تفسير النسائي رقم (٧٧، ٧٨).

(٣) ينظر تفسير القرطبي (٤٢٣/٤).

كل واحدة منها على لفظ الجلالة تفخيماً وتعظيماً.

فالجملة الأولى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أمرٌ بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه.

وفي الجملة الثانية: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ وعدٌ بأن يجعل الله في طلب من اتقاه علماً ونوراً يفرق به بين الحق والباطل.

وأما الجملة الثالثة فقال: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، وهذا إشارة إلى أنَّ الله محيط بكل شيء علماً، فسيجزي كلَّ إنسان على ما قدَّم، إن خيراً فهو خير، وإن شراً فهو شرٌّ.

يقول البيضاوي: «كرَّر لفظة «الله» في الجمل الثلاث؛ فإن الأولى حثٌّ على التقوى، والثانية وعدٌ بإنعامه، والثالثة تعظيم لشأنه»(١).

وقال السمين الحلبي: «القرآن ملآن من هذا النوع – أي غرض التعظيم والتفخيم – وهو من أحسن ما يكون؛ لأنَّ فيه تعظيماً وتفخيماً»(٢).

ويتحقق في هذه الآية غرض آخر من أغراض وضع الظاهر موضع الإضمار، وهو الإشارة إلى استقلال الجملة وعدم دخولها في حكم سابقتها، ففي الآية جملٌ متواليات، وكل واحدة منها مستقلةٌ عن الأخرى، وفي هذا يقول ابن عاشور – رحمه الله –: «وإظهار اسم الجلالة في الجمل الثلاث، لقصد التنويه بكل جملة منها حتى تكون مستقلة الدلالة، غير محتاجة إلى غيرها المشتمل على معاد ضميرها، حتى إذا سمع السامع كل واحدة منها حصل له علم مستقل...»(٣).

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (١/٥٨١).

(٢) الدر المصون (٦/٥٣).

(٣) التحرير والتنوير (١٦/١١٧).

ومن الآيات القرآنية التي اشتملت على هذا الغرض أيضا قوله تعالى:

﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ ﴾ [البقرة: ١٩٧].

﴿ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [البقرة: ٢١١].

﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ١٥].

﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٠].

﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٤].

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء: ٨٥].

الغرض الثالث: قصد الإهانة والتحقير والتنفير:

ومن النصوص القرآنية التي يتحقق هذا الغرض:

أ- قوله تعالى ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [المجادلة: ١٩].

تأمل تكرار لفظ «الشيطان» هنا ثلاث مرات، وكان مقتضى الظاهر أن يذكر في المرة الثانية والثالثة اسماً مضمراً، ولكن جاء السياق على خلاف المقتضى، فوضع الظاهر موضع الضمير لقصد الإهانة والتحقير من ذلك اللعين الذي استولى عليهم، وزيّن لهم أعمالهم، وهو العدو المبين كما قال جل وعلا في آية أخرى ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر: ٦].

وختم في الآية عدَّة مؤكدات تشير إلى التحذير والتنفير منه لكون حزبه أهل الخسارة الحقيقية حيث باعوا الجنة بجهنم، وباعوا الهدى بالضلالة فقال: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

«ألا» من أدوات الاستفتاح المؤكدة .

«إنَّ» من حروف التوكيد .

«هم الخاسرون» أسلوب القصر .

تعريف الخبر بـ «أل» الاستغراقية «الخاسرون»(١) .

ب- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾ [مريم: ٤٤].

أظهر اسم «الشيطان» إذ لم يقل: إنه كان للرحمن عصياً؛ لأنَّ في ذكر صريح اسمه تنبيهاً إلى النفرة منه(٢) .

وتأمل كيف عبَّر عن طاعة الشيطان بالعبادة، ثم أردفه بجملة تعليلية فيها إخبارٌ عن عصيانه المستمر، كل ذلك يأتي في سياق التحذير والتنفير منه.

يقول الألوسي: «والمراد بعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به إليهم ويزينه لهم، عبَّر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير عنها، ولوقوعها في مقابلة عبادته عز وجل»(٣) .

---

(١) ينظر: البرهان (٣/ ٦٣)، والإتقان (٢/٨٦٥)، ومعترك الأقران (١/٣٦٢)، والتحرير والتنوير (٢٨ / ٥٥) .

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٦/ ١١٧) .

(٣) روح المعاني (٢٣/٤٠).

جـ- ومن أمثلة هذا الغرض قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴾ [غافر: ٣٧].

كان مقتضى الظاهر أن يقال: وما كيده، ولكنَّه أعاد لفظ: «فرعون» اسماً ظاهرا لنكتة هي قصد الإهانة والتحقير.

ومن القرائن الدالة على حقارته وضعف عقله قوله كما حكى القرآن الكريم: ﴿ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾ فأراد الله إبراز هذه الحقارة، وذلك بإعادة اسمه ظاهراً للغرض المذكور.

وعلى هذا النهج جاءت الآيات التالية:

﴿ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٧٦].

﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ [هود: ٩٧].

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء: ٥٣].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [النور: ٢١].

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ ﴾ [المزمل: ١٥-١٦].

الغرض الرابع: الاستلذاذ بذكر المظهر: فالعشاق يتلذّذون دائماً بذكر أسماء من يُحبون أو ما يُحبون.

ويتمثل هذا الغرض في الآيات التالية:

أ- قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [فاطر: ١٠].

هذه الآية يخبرنا الله جل وعلا بأنَّ من أراد العزَّة والشرف فعليه أن يطلب من الله تعالى، وذلك بأخذ أسبابها ووسائلها، ومن تلك الوسائل العلم بالحق والتزامه والثبات عليه فهذا هو أساس العزَّة ومنبعها.

فلفظ «العزَّة» لفظ شريف يتلذَّذ المرء بذكرها وتكرارها ؛ ولهذا أقام الظاهر مقام الضمير، حيث عبَّر بالظاهر في قوله ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: فإنَّها لله، أو فلله هي جميعاً، والسرُّ وراء هذا الخروج عن الأصل هو التلذُّذ بذكر المُظهر ؛ للاسترواح بتلك الكلمة، وإسعاد النفس بجريانها على اللسان(١).

ب- ومن أمثلة هذا الغرض قوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾ [الزمر: ٧٣-٧٤].

ففي الآية الثانية وضع الظاهر موضع الضمير في قوله «نتبوأ من الجنة»،

---

(١) ينظر: البرهان (٣/٦٤)، والإتقان (٢/ ٨٦٦).

ولم يقل: منها، والنكتة في هذا العدول هو التلذُّذ بذكر اسم الجنة(١).

وإنَّ المتدبر في سياق الآيتين ليعجب من بلاغة هذا النظم المعجز، وأدرك الأسرار البيانية في كل كلمة من كلماته، انظر كيف صوَّر مشهد سوق المتقين إلى جنات الخلد، فقد حذف جواب الشرط ﴿ إِذَا جَآءُوهَا ﴾ ليكون دليلاً على ضيق الكلام عن وصف الجنة، وجاء ذلك في الحديث القدسي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أعددتُ لعبادي الصالحين مالا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطرَ على قلب بشر»(٢).

وتأمل كيف أُدخلت الواو في سياق أهل الجنة ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾، ولم تأت في سياق أهل النار؛ لأنَّ أبواب الجنة فتحت لهم قبل أن يأتوا لتكريمهم وترحيبهم، كما قال جل وعلا في آية أخرى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴾ [ص: ٥٠].

فلله ما أعظم تلك النعم، وما أجلَّ هذا التكريم، وما أجمل أن يردد الإنسان بذكر الجنة .

أما أبواب النار فهي مغلقة حتى يردوها لإذلالهم وترويعهم(٣).

جـ- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٠٥].

---

(١) ينظر: البرهان (٣/٦٤)، والإتقان (٢/ ٨٦٦)، والزيادة والإحسان (٦/١٦٥)، وروح المعاني (٢٤ / ٣٣) .

(٢) صحيح مسلم (٤/٢١٧٤) برقم (٢٨٢٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها .

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (١٨/٣١٨).

في هذه الآية وضع الظاهر موضع الضمير ؛ لأن المقتضى أن يقال: «وبه نزل»؛ لكون اللفظ الذي يرجع إليه الضمير قد سبق، ولكن عدل عن ذلك لغرض بلاغي كان هو سبب العدول، وهو التلذذ بذكر لفظ «الحق».

وانظر إلى كلمة «الحق» ولما لها من الدلالات والإثارة النفسية، ولا يمكن أن ينهض الضمير بالمعاني التي تحملها تلك اللفظة بأيِّ حال من الأحوال .

يقول الشيخ محمد الراوي: «ولم أر كلمةً أخذت معنى الثبات، وفازت بالأصالة والبقاء، وكان لها النصر في العاجلة والعاقبة مثل كلمة «الحق»»(١) .

ومن هذا القبيل أيضا قوله تعالى ﴿ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٣٩].

وقوله تعالى ﴿ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٨].

الغرض الخامس: إزالة اللبس والغموض:

من الأغراض البلاغية المستفادة من إقامة الظاهر مقام الضمير إزالة اللبس والغموض ؛ حيث يوهم الضمير أنَّه غير الأول، فيؤتى بالاسم الظاهر دفعاً لهذا اللبس، وكما هو مقررٌ في القواعد العربية: أنَّه إذا خيف الالتباس وجب أن يُحوَّل الكلام إلى ما ليس فيه التباس(٢) .

---

(١) كلمة الحق في القرآن الكريم للشيخ محمد الرواي (١/١٥).

(٢) ينظر: علل النحو لأبي الحسن الوراق (ص: ٢٩٤) .

ومن أمثلة ذلك ما يلي:

أ- قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

تأمل تكرار كلمة «الملك» في قوله تعالى: ﴿ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ ﴾؛ لأنه لو قال: «تؤتيه» لعاد الضمير إلى الملك في قوله: ﴿ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾، ولأوهم ذلك أنَّ الله تعالى يعطي ملكه كلَّه من يشاء، وهذا غير مراد، بل المراد أنَّ الله يعطي شيئاً من ملكه لبعض عباده⁽¹⁾.

ب- ومن وضع الظاهر موضع الضمير لإزالة اللبس والغموض قوله تعالى: ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ﴾ [يوسف: ٧٦].

كرَّر كلمتي ﴿ وِعَآءِ أَخِيهِ ﴾ خلافاً لمقتضى الظاهر.

أما إظهار كلمة ﴿ وِعَآءِ ﴾ فإنه لو قال: «ثم استخرجها منه» لأوهم عود الضمير على الأخ، فيصير المعنى كأنَّ الأخ كان مباشراً بطلب خروج الوعاء، وليس الأمر كذلك؛ لما في المباشرة من الأذى الذي تأباه النفوس الأبيَّة، فأعيد بلفظ الظاهر لنفي هذا التوهم⁽²⁾.

وأما إظهار كلمة ﴿ أَخِيهِ ﴾ فإنه لو جرى على الأصل وقال: «ثم استخرجها من وعائه» لأوهم السياق أنَّ يوسف عليه السلام استخرجها من وعائه؛ لأنَّ ضمير الفاعل في ﴿ ٱسْتَخْرَجَهَا ﴾ ليوسف عليه السلام، والضمير يعود على أقرب مذكور كما سبق⁽³⁾.

---

(١) ينظر: البرهان (٣/٦٥)، والإتقان (٢/٨٦٥)، والزيادة والإحسان (٦/ ١٦٤).

(٢) ينظر: البرهان للزركشي (٣/٦٦).

(٣) المصدر السابق مع الصفحة نفسها.

جـ- قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴾ [الإسراء: ٧٨].

فالإظهار في قوله: ﴿ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ ﴾ لإزالة اللبس عن مرجع الضمير؛ إذ لو قال: «إنه» بالإضمار لأوهم عود الضمير إلى الفجر باعتباره أقرب مذكور ، بناءً على القاعدة اللغوية: أنَّ الضمير يرجع إلى أقرب مذكور(١).

وذكر الزركشي والسيوطي: أنَّ الغرض البلاغي في وضع الظاهر موضع الضمير هنا هو قصد التعظيم(٢)، وليس ثَمة تعارض، فقد يكون في الآية الواحدة أكثر من غرض بلاغي، وهو مظهرٌ من مظاهر بلاغة القرآن وإعجازه .

د- ومن أمثلة هذا الغرض قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] .

مقتضى الظاهر أن يقال: أن تضل إحداهما فتذكِّرها الأخرى، ولكنَّه أظهر لفظ ﴿ إِحۡدَىٰهُمَا ﴾، ولو أضمر لكان المعنى: أن تضل إحداهما فتذكر الضالَّةَ الأخرى، وذلك ليس هو المقصود، بل المراد أنَّ الذاكرةَ تُذكِّر الناسية(٣).

---

(١) ينظر في هذه القاعدة: شرح التسهيل لابن مالك (١/ ١٥٧)، والصفوة من القواعد الإعرابية (ص: ١٠٠) .

(٢) ينظر: البرهان (٣/٦٢)، والإتقان (٢/ ٨٦٥) .

(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١/ ٩٣٧)، والتحرير والتنوير (٣ /١١٠-١١١)، وتفسير ابن عثيمين (٣ / ٤٠٧) .

يقول أبو بكر بن العربي في بيانه للطائف الآية: «كرر قوله: ﴿إِحۡدَىٰهُمَا﴾، وكانت الحكمة فيه أنه لو قال: أن تضل إحداهما فتذكر الأخرى، لكانت شهادة واحدة، وكذلك لو قال: فتذكرها الأخرى، لكان البيان من جهة واحدة لتذكرة الذاكرة الناسية، فلما كرَّر ﴿إِحۡدَىٰهُمَا﴾ أفاد تذكرة الذاكرة للغافلة، وتذكرة الغافلة للذاكرة أيضا لو انقلبت الحال فيهما بأن تذكر الغافلة وتغفل الذاكرة، وذلك غايةٌ في البيان»(١).

ويقول الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – في تعليقه على هذه الآية: «وفي قوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾ من البلاغة: إظهارٌ في موضع الإضمار؛ لأنه لم يقل: فتذكرها الأخرى ؛ لأن النسيان قد يكون متفاوتاً، فتنسى هذه جملة، وتنسى الأخرى جملة، فهذه تذكر هذه بما نسيت، وهذه تذكر هذه بما نسيت؛ فلهذا قال تعالى: ﴿فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾ لئلا يكون المعنى قاصراً على واحدة هي الناسية، والأخرى تذكرها»(٢).

ومن الطرائف في هذا السياق ما أشار إليه ابن عاشور – رحمه الله – من أنَّ مقام الإظهار هنا قد حيَّر كثيراً من المفسرين، مما جعل الخفاجي يرسل رسالة إلى شهاب الدين الغزنوي يقول فيها(٣):

---

(١) أحكام القرآن لاين العربي (١/٢٥٥-٢٥٦).

(٢) تفسير ابن عثيمين (٣ / ٤٠٧) .

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٣/١١١) .

يا رأس أهل العلوم السادة البررة   ومن نداه على كل الورى نشره
ما سرُّ تكرار إحدى دون تُذكرها   في آية لذوي الأشهاد في البقرة
وظاهر الحال إيجاز الضمير على   تكرار إحداهما لو أنه ذكره
وحمل الإحدى على نفس الشهادة في   أولاهما ليس مرضياً لدى المهرة
فغص بفكرك لاستخراج جوهره   من بحر علمك ثم ابعث لنا درره

فكان جواب شهاب الدين الغزنوي:

يا من فوائده بالعلم منتشره   ومن فضائله في الكون مشتهره
تضل إحداهما فالقول محتمل   كليهما فهي للإظهار مفتقره
ولو أتى بضمير كان مقتضياً   تعيين واحدة للحكم معتبره
ومن ردَدُ ثم عليه الحل فهو كما   أشرتم ليس مرضياً لمن سَبره
هذا الذي سمح الذهن الكليل به   والله أعلم في الفحوى بما ذكره

ومما جاء أيضا في التنزيل على الغرض المذكور الآيات التالية:

﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ ﴾ [البقرة: ١٩٧].

﴿ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [النحل: ١١١].

﴿ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٥].

﴿ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ﴾ [الفتح: ٦].

﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴾ [المزمل: ١٤].

الغرض السادس: قصد العموم:

من الأغراض البلاغية التي يؤتى بالظاهر مقام الضمير قصد العموم؛ حيث إنَّ ذلك الظاهر يتناول جميع أفراد الجنس، ومن ذلك:

أ- قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

كرر كلمة ﴿ قِتَالٌ فِيهِ ﴾ مع أن مقتضى الظاهر يستدعي أن يقال: «قل هو كبير»، والسرُّ في ذلك العدول هو الوصول إلى عموم الحكم لكل

قتال، ولو جاء مضمراً لكان الحكم مختصاً بتلك الحادثة التي نزلت الآية في شأنها، وهي قصة سرية عبد الله بن جحش رَضِيَ اللهُ عَنْهُ(١).

ومن القرائن المفيدة لنكتة العموم في هذا السياق:

١- التنكير في قوله تعالى: ﴿قِتَالٌ فِيهِ﴾، ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ﴾ فهو يدل على أنَّ المقصود أيُّ قتال.

٢- وتأمل كذلك كيف أنَّ بدل الاشتمال في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ أفاد معنى العموم والشمول لكل مخالفة تقع في الشهر الحرام من قتال أو غيره، فلم يقل في السياق: يسألونك عن قتال في الشهر الحرام، ولكنَّه قدَّم الشهر الحرام، ثم أتى بالبدل للغرض المذكور.

ب- ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى﴾ [يوسف: ٥٣].

لقد جاءت كلمة «نفس» في هذه الآية في المرة الأولى مفردةً مضافة لضمير المتكلم، وقبلها جملة ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ﴾ لتفيد في هذا التركيب نفي البراءة عن السوء، والمراد بها هنا نفس يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أو امرأة العزيز على

---

(١) لمعرفة تفاصيل القصة انظر: أسباب النزول للواحدي (ص: ٦٨- ٧١)، والعجاب في بيان الأسباب للحافظ ابن حجر (١/٥٣٧- ٥٣٩) وحسَّن إسنادها.

اختلاف بين المفسرين(١).

والنفس الأخرى في الآية التي دخلت عليها «أل» المفيدة لاستغراق الجنس يراد بها النفس العاصية التي تأمر بالسوء، وهي موطن الشاهد في بلاغة «الإظهار في مقام الإضمار» «في الآية، فذكر الاسم الظاهر» النفس» بدل الضمير «إنها»؛ لغرض بلاغي وهو إفادة التعميم لكل نفس من النفوس إلا ما استثناه القرآن بقوله ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي﴾(٢).

جـ- ومن أمثلة هذا الغرض قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾ [الشورى: ٤٨].

فلو جرى الكلام على مقتضى الظاهر لقيل: «فإنه كفور»؛ وذلك لتقدم لفظ «الإنسان» في الآية، ولكنَّه أعاد لفظ ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ ليدل على مدى كفران الإنسان لنعم الله، وأنَّ ذلك أمرٌ عام في جميع أفراد جنسه .

فالله جلَّ وعلا قد غمر الإنسان بنعمه ومع ذلك حين تصيبه سيئة بسبب جرمه يظهر معدنه الأصلي فيكفر بنعم الله، وصدق الله بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٦]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ

---

(١) رجح شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ ابن كثير أنَّ امرأة العزيز هي المقصودة في قوله تعالى ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي﴾، وأنَّ ذلك هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام، انظر: مجموع الفتاوى (١٥/١٥٠-١٥١)، وتفسير ابن كثير (٤/٣٩٤-٣٩٥).

(٢) ينظر: البرهان (٣/ ٧٠)، والإتقان (٢ / ٨٦٧)، والزيادة والإحسان (٦ / ١٦٥) .

لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

د- ومن ذلك قوله تعالى ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [الجاثية: ١٤].

كان مقتضى الظاهر أن يقال: «ليجزيهم بما كانوا يكسبون»، ولكنَّه أظهر لفظ ﴿ قَوْمًا ﴾ لإفادة العموم بأن يجازي الله كلَّ قوم بما كانوا يكسبون من خير أو شر بما يناسب عملهم .

وانظر إلى تنكير لفظ ﴿ قَوْمًا ﴾ فهو مشعر أيضا معنى العموم، يقول ابن عاشور في تعليقه على الآية: «فعدل إلى الإظهار في مقام الإضمار ليكون لفظ «قوما» مشعراً بأنهم ليسوا بمضيعة عند الله»[1].

ومن أمثلة هذا الغرض أيضا الآيات التالية:

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء: ١٥١].

﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٠]. ﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ [النجم: ٢٨].

---

[1] التحرير والتنوير (٣٤٢/٢٥).

الغرض السابع: قصد الخصوص:

كقوله تعالى: ﴿ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

لم يقل: «إن وهبت نفسها لك» كما هو مقتضى الظاهر، ولكن وضع الاسم الظاهر وهو «النبي» مقام الضمير للدلالة على الخصوصية، ومعنى ذلك: أنَّه أبيح للنبي ﷺ دون غيره من الأمة، وجاء عقب هذا النص قوله تعالى: ﴿ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وهو خير شاهد على قصد الخصوصية.

يقول الزركشي – رحمه الله –: «فعدل عنه إلى الظاهر للتنبيه على الخصوصية، وأنَّه ليس لغيره ذلك»(١).

ويقول ابن عاشور – رحمه الله –: «والغرض من هذا الإظهار ما في لفظ «النبي» من تزكية فعل المرأة التي تهب نفسها بأنها راغبةٌ لكرامة النبوة»(٢).

ولم أجد بعد التتبع والاستقصاء آيةً أخرى في التنزيل تصلح أن تكون مثالاً لهذا الغرض – والله أعلم –.

الغرض الثامن: تربية المهابة وإدخال الرَّوع في نفس المخاطب:

وقد زخر القرآن الكريم بالأمثلة الدالة على هذا الغرض، ومنها:

أ– قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ﴾ [غافر: ٤٩]،

---

(١) البرهان (٣/٧١) وانظر: الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي (٤/١٣٠ – ١٣١) ففيه كلام نفيس حول بيان هذا الغرض البلاغي.

(٢) التحرير والتنوير (٢٢ / ٦٩).

فعبَّر بالاسم الظاهر وهو ﴿ جَهَنَّمَ ﴾، ولم يقل: «لخزنتها»؛ ذلك أنَّ هذا العدول لغرض بلاغي قد اقتضاه المقام، وهو: إدخال الرَّوع والمهابة في ضمير المخاطبين(١).

والمتأمل في سياق الآية يجد أنَّ المقام مقام تخويف وتهويل، فالاسم الظاهر هنا يؤدي ما لا يؤديه الضمير.

ب- قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

مقتضى الظاهر أن يقال: «فإذا عزمت فتوكَّل عليه إنَّه يحب المتوكِّلين»، ولكن وضع الاسم الظاهر، وهو لفظ الجلالة «الله» موضع الضمير لإدخال الروعة والمهابة في النفوس(٢).

وحينما نتدبر الأوامر المذكورة في الآية نجد أنها رتبت ترتيباً تدريجياً «وذلك أنه أمره بأن يعفو ﷺ عنهم ماله في خاصته عليهم من تبعة وحق، فإذا صاروا في هذه الدرجة أمره أن يستغفر لهم فيما لله عليهم من تبعة، فإذا صاروا في هذه الدرجة كانوا أهلاً للاستشارة في الأمور»(٣)،

---

(١) ينظر: البرهان (٣/ ٦٧)، وفيض الفتاح (١/ ١٣٧ – ١٣٨).

(٢) ينظر: فيض الفتاح (١/ ١٣٨).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٢٨٠).

ثم عقَّب تلك المشاورة أمره بالتوكل عليه .

هذه الأوامر التي رتبت بهذا الترتيب المحكم المتدرج جديرة بأن تبرز لها لفظ الجلالة لإدخال الروع والمهابة في نفوس المخاطبين؛ وذلك مما يزيد في الحفز إلى التوكل على الله.

جـ - ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ [التوبة: ٥٩].

تكرَّر لفظ الجلالة هنا عدَّة مرات، والآية واردة في الحديث عن المنافقين الذين هم ألدُّ أعداء الدعوة الإسلامية، وهذا السياق يستدعي إظهار لفظ الجلالة للتخويف وإلقاء الروع في قلوبهم لعلهم يرجعون إلى الله تعالى.

د - قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

فقد أظهر لفظ الجلالة هنا ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ بدل إضماره «فسبحانه»؛ وذلك لما في لفظ الجلالة من إدخال المهابة والروعة في قلب السامع.

يقول ابن عاشور - رحمه الله -: «وإظهار اسم الجلالة في مقام الإضمار لتربية المهابة»(١).

---

(١) التحرير والتنوير (١٧/ ٤٤) .

ومن الآيات القرآنية الدالة على هذا الغرض:

﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ١٣].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١].

﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ١-٢].

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢﴾ [القارعة: ١-٢].

الغرض التاسع: التنبيه على علة الحكم:

ذلك أن السياق إذا كان يقتضي الإضمار ثم جاء الإظهار، فإن القارئَ يتساءل عن سببَ الإظهار، ومن ثَمَّ يريد أن يعرف العلة .

وأتلمس هنا هدفاً تربوياً تحققه بلاغة «الإظهار في مقام الإضمار»، فالقارئ يتجدد نشاطه، وتسمو نفسه عندما يتساءل، كما أنَّ المدرِّس يلقي أسئلته على طلابه لتجديد النشاط والتنبيه على الغافل .

ومن أمثلة ذلك:

أ- قوله تعالى: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ [البقرة: ٥٩].

مقتضى الظاهر: «فأنزلنا عليهم»، وجاء النص بالإظهار ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ للتنبيه على أنَّ الحكم عليهم بإنزال العذاب كان بسبب ظلمهم الذي ظهرت آثاره بأعمال الفسق الذي كانوا يفسقونه(١) .

يقول الزمخشري: «وفي تكرير «الذين ظلموا» زيادةٌ في تقبيح أمرهم، وإيذان بأنَ إنزال الرجز عليهم لظلمهم»(٢) .

ب- قوله تعالى ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٩٨].

---

(١) ينظر: الدر المصون (١/ ٣٨١)، والبرهان (٣/ ٦٨- ٦٩)، والإتقان (٢/ ٨٦٦)، وفيض الفتاح (١/ ١٣٩) .

(٢) الكشاف للزمخشري. (١/١٧٢).

ذكر الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – ثلاث فوائد تتعلق بنكتة الإظهار هنا فقال: «لم يقل فإنَّ الله عدو له، فأفاد هذا الإظهار:

١- الحكم بالكفر على من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال.

٢- أنَّ الله عدوٌّ لهم .

٣- بيان العلة، وهي في هذه الآية الكفر»⁽¹⁾.

جـ- ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [الحشر: ٥]، ففي الآية لم يقل: «وليخزيهم» بالإضمار كالسابق، وإنما أظهر لفظ ﴿ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ للتنبيه على أنَّ سبب الخزي هو فسقهم.

يقول ابن عاشور – رحمه الله -: «عدل عن الإتيان بضميرهم كما أتى بضمائرهم من قبل ومن بعد إلى التعبير عنهم بوصف «الفاسقين»؛ لأنَّ الوصف المشتق يؤذن بسبب ما اشتق منه في ثبوت الحكم، أي ليخزيهم لأجل الفسق»⁽²⁾.

د- ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر: ١-٢].

كان مقتضى الظاهر أن يقال: «فصل لي» أو «فصل لنا»، ولكنَّه أظهر الاسم الظاهر فقال: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ للتنبيه على أنَّه تعالى أهلٌ لأن يُصلَّى له ؛ لأنه ربه الذي خلقه وأبدعه وربَّاه بنعمته⁽³⁾.

---

(١) تفسير ابن عثيمين (١/ ٣١٥- ٣١٦)، وأصول في التفسير للشيخ ابن عثيمين (ص: ٥٣) .

(٢) التحرير والتنوير (٢٨/ ٧٨) .

(٣) ينظر: البرهان (٣/٦٩).

يقول الرازي مبيناً الوجوه البلاغية في هذه الآية: «كان الأليق في الظاهر أن يقول: إنا أعطيناك الكوثر فصل لنا وانحر، لكنَّه ترك ذلك إلى قوله ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ **لفوائد:**

إحداها: أنَّ وروده على طريق الالتفات من أمهات أبواب الفصاحة،

وثانيها: صرف الكلام من المضمر إلى المظهر يوجب نوع عظمة ومهابة»[1].

وقال ابن عاشور: «والعدول عن الضمير إلى الاسم الظاهر في قوله ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ دون: فصلِّ لنا ؛ لما في لفظ الرب من الإيماء إلى استحقاقه العبادة لأجل ربوبيته فضلاً عن فرط إنعامه»[2].

ومن هذا القبيل الآيات التالية:

﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [البقرة: ٩٠].

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الأنعام: ٢١].

﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

---

(١) تفسير الرازي (١٦/١٣١).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/٥٧٤).

﴿ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٧].

﴿ أَمۡ يُرِيدُونَ كَيۡدٗاۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلۡمَكِيدُونَ ﴾ [الطور: ٤٢].

الغرض العاشر: قصد التوصل بالظاهر إلى الوصف:

ومن أمثلة هذا الغرض قوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

في هذا النص وضع الظاهر وهو ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ موضع الضمير، وهو: «فآمنوا بالله وبي»، والسر البلاغي في هذا العدول هو قصد التوصل بالظاهر إلى الصفات التي ذكرها للنبي ﷺ، وهي قوله: ﴿ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ ﴾، وهذه الأوصاف تتضمن حجةً وبرهانا على رسالته، ولو أتى بالضمير لم يمكن ذكر تلك الأوصاف ؛ لأنَّ الضمير لا يوصف(١).

---

(١) انظر في هذه القاعدة: الملخص في ضبط القوانين العربية لابن أبي الربيع الإشبيلي (ص:٥٥٨)، والبرهان (٣/ ٦٨)، والإتقان (٢/ ٨٦٦).

يقول ابن أبي الربيع: «المضمر لا يوصف ولا يوصف به ؛ لأنَّ المضمر لا دلالة فيه على الصفة، ولأنَّ وضع المضمر مخالفٌ لوضع الظاهر» الملخص في ضبط القوانين العربية (ص: ٥٥٨).

يقول الزمخشري: «فإن قلت: هلاَّ قيل: فآمنوا بالله وبي، بعد قوله: ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ﴾؟ قلت: عدل من المضمر إلى الاسم الظاهر لتجري عليه الصفات التي أجريت عليه، ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة»(١).

الغرض الحادي عشر: أن يتحمَّل ضميراً لا بد منه:

ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا﴾ [الكهف: ٧٧].

لم يقل: «استطعماها» لأنهما لم يستطعما القرية، وكذلك «استطعماهم»؛ لأنَّ جملة «استطعما» صفة لـ «قرية»، وهي نكرة، لا لـ «أهل»، ولهذا لا بد أن يكون فيهما ضمير يعود عليها، ولا يتأتى ذلك إلا مع التصريح بالظاهر(٢).

ولهذا المثال قصة طريفة، وهي أنَّ صلاح الدين الصفدي(٣) قد استشكل السرَّ البلاغي في وضع الظاهر موضع الضمير في هذه الآية، فوجَّه سؤالاً إلى

---

(١) الكشاف (٢/ ١٥٨).

(٢) ينظر: البرهان (٣ /٧١)، والإتقان (٢/ ٨٦٧)، والأشباه والنظائر في النحو (٤/ ١٢٦)، والزيادة والإحسان (٦/ ١٦٧ – ١٦٨).

٣- هو خليل بن أبيك بن عبد الله الشهير بصلاح الدين الصفدي، من أبرز شيوخه: الذهبي، وأبو حيان، ومن مؤلفاته: أعيان العصر وأعوان النصر، والوافي بالوفيات، توفي – رحمه الله – سنة (٧٦٤هـ).

ترجمته: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للحافظ ابن حجر (٢ / ٨٧).

تقي الدين السبكي(١) يقول فيها(٢):

أسيَّدنا قاضي القضاة ومن إذا   بدا وجهه استحيا له القمران
ومن كفه يوم الندى ويراعه   على طرسه بحران يلتقيان
ومن إن دجت في المشكلات مسائل   جلاها بفكر دائم اللمعان
رأيت كتاب الله أكبر معجز   لأفضل من يهدي به الثقلان
ولكنَّني في الكهف أبصرت آيةً   بها الفكرُ في طول الزَّمان عناني
وما هي إلا «استطعما أهلها» فقد   نرى «استطعماهم» مثله ببيان
فما الحكمةُ الغرَّاءُ في وضع ظاهرٍ   مكان ضمير إنَّ ذاك لِشَانِ
فأرشد على عادات فضلك حَيرتي   فمالي بها عند البيان يدان

الغرض الثاني عشر: مراعاة المحسنات البديعية كالجناس:

ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ (١) مَلِكِ ٱلنَّاسِ (٢) إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس١-٣]، ففي الآيات السابقة مراعاة للجناس والفواصل، وذلك بإظهار لفظ ﴿ ٱلنَّاسِ ﴾، ولو جاء مضمراً لقال: «ملكهم، إلههم»؛ ولكنَّه عدل عن ذلك للنكتة المذكورة التي

---

(١) هو علي بن عبد الكافي بن علي السبكي، فقيه شافعي، من شيوخه: أبو حيان، وشرف الدين الدمياطي، ومن مؤلفاته: فتاوى السبكي، وشرح المنهاج في الفقه، ولم يكمل، توفي - رحمه الله - سنة (٧٥٦هـ).
ترجمته: الدرر الكامنة (٣ /١٣٤) .

(٢) ينظر: فتاوى السبكي (١/٦٥ - ٦٧)، والإتقان (٢/ ٨٦٧) والأشباه والنظائر في النحو (٤/ ١٢٦)، والزيادة والإحسان (٦/ ١٦٧- ١٦٨) .

تعطي للسياق إيقاعاً معيناً(١).

تأمَّل آيات هذه السورة كلِّها، تجد أنها مختومةٌ بحرف السين، وما أروع جرسَه، فهو يسري في النفس سريان الروح في الجسد، كما أنه يُسهم في إبراز المعاني الأساسية المقصودة في السورة باقتدار رائع، وإعجاز معجز، فصوته صامت مهموز، وقد اختير هنا بصفة خاصة لإبراز الوسوسة التي تأتي من الشيطان وأعوانه من أهل المعاصي والإجرام ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ٤-٦].

ويبدو أنَّ اقتصار بعض البلاغيين والمفسرين على التعليل اللفظي هنا المتمثل في الجناس والفواصل فحسب فيه نظر ؛ وذلك لما لهما من الفوائد المتعددة في آن واحد: لفظية ومعنوية .

يقول الشوكاني: «وكرَّر لفظ «الناس» في الثلاثة المواضع ؛ لأنَّ عطف البيان يحتاج إلى مزية الإظهار، ولأنَّ التكرير يقتضي مزيد شرف الناس»(٢).

الغرض الثالث عشر: الإشارة إلى استقلال الجملة:

ومن أمثلة ذلك:

أ- قوله تعالى: ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

---

(١) ينظر: البرهان (٣/٧١)، والإتقان (٢ / ٨٦٧)، والتحرير والتنوير (٣٠ / ٦٣٣) .

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية للشوكاني (٥/٥٢٢) .

أعاد لفظ ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ﴾ ظاهراً، وكان مقتضى الظاهر أن يقال: «ومن يؤتها» بالإضمار، ولكن لكون الجملة مستقلة في المعنى حسن فيها الإظهار، يقول السيوطي – رحمه الله –: «وذكر «الحكمة» ثانياً بلفظ الظاهر، لكونها في جملة أخرى»(١).

ب- ومنه قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران: ٢٩].

أظهر لفظ الجلالة هنا، ولو جرى على مقتضى الظاهر لقال: «وهو على كل شيء قدير»، ولكنَّه عدل عنه إلى الإظهار للإشارة إلى استقلال الجملة.

يقول ابن عاشور عند تفسيره لهذه الآية: «أظهر اسم الله دون ضميره فلم يقل: وهو على كل شيء قدير؛ لتكون الجملة مستقلة، فتجرى مجرى المثل»(٢).

وعلى هذا النهج جاءت الآيات التالية:

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ [يونس: ٥٥].

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التغابن: ١٣].

وبهذه الاستقلالية تكون الجملة بمثابة قاعدة عامة وقضية كلية لها

---

(١) قطف الأزهار في كشف الأسرار (١/٥٢٢).

(٢) التحرير والتنوير (٣/٢٢٢).

صفة العموم .

هذه هي الأغراض التي يوضع الإظهار موضع الإضمار في القرآن الكريم كما ذكرها البلاغيون والمفسرون، ولم أستقص لئلا يطول الموضوع، بل يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق .

المبحث الخامس: المفسرون الذين اعتنوا ببلاغة "الإظهار في مقام الإضمار"

لقيت بلاغة «الإظهار في مقام الإضمار» في القرآن الكريم عنايةً واهتماماً بالغاً من بعض المفسرين قديماً وحديثاً ؛ ولعلَّ السبب في هذا الاهتمام يعود أساساً إلى أنَّ العناية بالبلاغة القرآنية تُعتبر قاعدةً أساسية في فهم النص القرآني عند هؤلاء المفسرين .

فهذا الزمخشري يقدم رأية الصريح بشأن حاجة التفسير الأكيدة إلى علم البلاغة، فيقول في مقدمة «الكشاف»: «... علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كلُّ ذي علم، فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن برز أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القِريَّة(١) أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه، لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق – يعني طرائق التفسير –، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما: علم المعاني، وعلم البيان ... »(٢).

---

(١) هو أيوب بن زيد بن قيس الهلالي، كان أحد بلغاء الدهر، وخطيبا يضرب به المثل، يقال: أبلغ من ابن القِريَّة، قتله الحجاج عام (٨٤هـ)، ولما رآه قتيلاً قال: لو تركناه حتى نسمع من كلامه .

ترجمته: تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام للذهبي(٣/٢٣٤).

(٢) الكشاف (١/٤٢-٤٣) .

وها هو ابن النقيب(١) يقول في مقدمة تفسيره: « ومن لم يعرف هذا العلمَ كان عن فهم معاني الكتاب العزيز بمعزل، ولم يقم ببعض حقوق المُنزِل والمُنَزَّل »(٢).

ويؤكد ابن عاشور تلك العلاقة القوية بقوله: « ولعلمي البيان و المعاني مزيد اختصاص بعلم التفسير؛ لأنهما وسيلة لإظهار خصائص البلاغة القرآنية، وما تشتمل عليه الآيات من تفاصيل المعاني، وإظهار وجه الإعجاز، ولذلك كان هذان العلمان يُسمَّيان في القديم: «علم دلائل الإعجاز»»(٣).

وفيما يلي عرض موجز بما احتفل به كل تفسير من لفتات بلاغية لمصطلح «الإظهار في مقام الإضمار».

أولاً: الكشاف للزمخشري (ت٥٣٨هـ):

يزخر تفسير «الكشاف» للزمخشري بروائع البلاغة القرآنية، ومنها بلاغة «الإظهار في مقام الإضمار»، فهو منهلٌ عذب للباحث عن أسرار ونكت الإظهار في مقام الإضمار، وإليك عرض بعض النماذج لنرى مدى اهتمام الزمخشري بهذه البلاغة القرآنية(٤):

---

(١) هو جمال الدين محمد بن سليمان بن الحسن البلخي الحنفي المعروف بابن النقيب، صنف تفسيره الكبير المسمى: التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير، توفي – رحمه الله – سنة (٦٩٨هـ) .
ترجمته: طبقات المفسرين للداودي (٢/١٤٩- ١٥٠).

(٢) مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن (ص: ١٦) .

(٣) التحرير والتنوير (١/١٩) .

(٤) للدكتور محمد محمد أبو موسى دراسة موسعة عن البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، وطبعتها مكتبة وهبة بالقاهرة .

أ- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣] يقول: «فإن قلت: فهلا قيل: ليمسَّنَّهم عذاب أليم، قلت: في إقامة الظاهر مقام الضمير فائدة، وهي تكرير الشهادة عليهم بالكفر، في قوله ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾»⁽¹⁾.

ب – وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨] يذكر الزمخشري أنَّ السرَّ البلاغي في وضع الظاهر موضع الضمير في قوله: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ بدلاً من «فآمنوا بالله وبي» هو إرادة التوصل إلى الصفات الكريمة التي ذكرت عقب الظاهر، وفي ذلك يقول: «فإن قلت: هلاَّ قيل: فآمنوا بالله وبي بعد قوله: ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ ؟ قلت: عدل من المضمر إلى الاسم الظاهر لتجري عليه الصفات التي أجريت عليه، ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة»⁽²⁾.

جـ- وفي قوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ١- ٢] يذكر أنَّ

---

(١) الكشاف(١/٦٩٧) .

(٢) المصدر السابق (٢/١٥٨).

الغرض من إعادة الظاهر بدل الإضمار هو تفخيم شأنه، فيقول: «والأصل: الحاقة ما هي؟ أي أيُّ شيء هي؟ تفخيماً لشأنها وتعظيماً لهولها، فوضع الظاهر موضع المضمر»⁽¹⁾.

د- وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس١-٣] يقول الزمخشري: «فإن قلت: فهلا اكتفى بإظهار المضاف إليه الذي هو الناس مرة واحدة؟ قلت: لأنَّ عظف البيان للبيان، فكان مظنةً للإظهار دون الإضمار»⁽²⁾.

والمتتبع لمواطن ورود الإظهار في موضع الإضمار عند الزمخشري يجده قد أكثر استخدام أسلوب «الفنقلة»⁽³⁾، وهو أمر قد اعتاده الزمخشري عند صياغته للتساؤلات والاستشكالات.

ومهما يكن من أمر فإن الزمخشري قد عُني بالإكثار من إبراز مقامات الإظهار في موضع الإضمار مع تحليل أغراض وأسرار تلك المقامات تحليلاً يدل على رفاهية الحس، وصفاء الذوق.

ثانياً: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود (٩٥١هـ):

أخذت بلاغة الإظهار في مقام الإضمار في الآيات القرآنية مساحة واسعة في تفسير أبي السعود، ولا غرو في ذلك؛ فتفسيره مليء بألوان البلاغة ونكاتها، وكلما وجد المناسبة متاحةً بين يديه نجد أبا السعود

---

(1) المصدر السابق (٤/٦٠٢).

(2) المصدر السابق (٤/٨٢٨-٨٢٩).

(3) كلمة منحوتة من قولهم: إن قيل قلت.

يذكر الأسرار البلاغية للآيات القرآنية، وفيما يلي عرض موجز بنماذج من تفسيره:

أ- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩] يذكر الغرض البلاغي لإعادة لفظ «الكفر» في قوله تعالى ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ فيقول: «ووضع المظهر موضع المضمر للإيذان بأنَّ حلول اللعنة بسبب كفرهم، كما أن الفاء للإيذان بترتبها عليه»(١).

ب- وفي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [البقرة: ١٩٦] يذكر السر البلاغي لإعادة لفظ الجلالة «الله» مكان ضميره فيقول: «وإظهار اسم الجليل في موضع الإضمار لتربية المهابة وإدخال الروعة»(٢).

جـ- ومن أمثلة الإظهار في مقام الإضمار في تفسير أبي السعود ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠] إذ يقول: «والفاء في قوله تعالى: ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ للإيذان بأنَّ الأخوة الدينية موجبةٌ للإصلاح، ووضع المظهر مقام الضمير مضافاً إلى المأمورين للمبالغة في تأكيد وجوب الإصلاح والتحضيض عليه، وتخصيص الاثنين بالذكر لإثبات وجوب الإصلاح فيما فوق ذلك بطريق الأولوية»(٣).

---

(١) تفسير أبي السعود (١/١٢٩).

(٢) المصدر السابق (١/٢٠٧).

(٣) المصدر السابق (٨/١٢٠).

د- وفي قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢] يقول أبو السعود: «وفي تصدير الجملة بحرفي التنبيه والتحقيق، وإظهار المضافين معاً في موقع الإضمار... وتوسيط ضمير الفصل من فنون التأكيد ما لا يخفى»(١).

ولعل هذه الأمثلة كافية في إبراز بلاغة «الإظهار في مقام الإضمار» عند أبي السعود؛ إذ ليس هدفنا استقصاءها وتكثرها.

ثالثا: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي (ت١٢٧٠هـ):

تفسير روح المعاني للألوسي زاخرٌ ببلاغة «الإظهار في مقام الإضمار»، وما أكثر ما طوَّف به في آفاقها التي لا يدركها الحصر، وحتى لا يطول بنا الطريق لنستعرض بعض الأمثلة من تفسيره لنقف من خلالها عنايته بهذا المجال:

أ- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]، يقول الألوسي: «ووضع المظهر موضع المضمر في «هداي» إشارة للعلِّيَّة؛ لأنَّ الهدي بالنظر إلى ذاته واجب الاتباع، وبالنظر إلى أنه أضيف إليه تعالى إضافة تشريف أحرى وأحق أن يتبع»(٢).

---

(١) المصدر السابق (٨/ ٢٢٣).

(٢) روح المعاني (١/ ٢٣٩).

ب- وفي قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] يقول: «ووضع الظاهر موضع المضمر لكمال العناية بشأنه بحيث لا يتوهم غيره أصلاً»(١).

ومن الحسنات التي تُحسب للألوسي في هذا السياق أنه لم يستحسن بعض المواضع التي قيلت إنها من باب الإظهار في مقام الإضمار، بل عقَّب عليها بما يدل على حسِّه النقدي، ومن ذلك:

أ- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ [البقرة: ١٠] قال: «وإعادة «مرض» منكراً لكونه مغايراً للأول، ضرورة أنَّ المزيد يغاير المزيد عليه، وتوهم من زعم أنه من وضع المظهر موضع المضمر، والتنكير للتفخيم»(٢).

ب- وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] يقول الألوسي: «وليس من وضع المظهر موضع المضمر ؛ إذ ليست المذكرة هي الناسية»(٣).

هذه لمحات من أسرار «بلاغة الإظهار في مقام الإضمار» في تفسير الألوسي، وهي تشهد بجهده في هذا المجال، وسعة باعه في التذوق لأسرار بلاغة القرآن الكريم .

---

(١) المصدر السابق (٢/ ١٢١).

(٢) المصدر السابق (١/ ١٥٠).

(٣) المصدر السابق (٣/ ٥٩).

رابعاً: التحرير والتنوير لابن عاشور (ت١٣٩٣هـ):

تفسير «التحرير والتنوير» لابن عاشور أحد أشهر تفاسير القرآن المعاصرة، واهتم صاحبه في تفسيره ببيان وجوه إعجاز القرآن، ونكت البلاغة القرآنية، يقول في المقدمة العاشرة من مقدمات تفسيره: «ومما يجب التنبيه له أنَّ مراعاة المقام في أن ينتظم الكلام على خصوصيات بلاغية هي مراعاة من مقومات بلاغة الكلام، وخاصة في إعجاز القرآن، فقد تشتمل آية من القرآن على خصوصيات تتساءل نفس المفسر عن دواعيها، ومرجع هذا الصنف من الإعجاز إلى ما يسمى في عرف علماء البلاغة بالنكت البلاغية»⁽¹⁾.

وفيما يلي أمثلة تظهر مدى عنايته ببلاغة «الإظهار في مقام الإضمار»:

أ- قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١- ٢]: «مقتضى الظاهر أن يسند إلى الضمير المستتر، ولكنه أظهر قصداً للتنويه بهذه المغفرة ؛ لأن الاسم الظاهر أنفذ في السمع وأجلب للتنبيه»⁽٢⁾.

ب- وفي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيًّا﴾ [مريم: ٤٤] يقول ابن عاشور: «وإظهار اسم الشيطان في مقام الإضمار، إذ لم يقل: إنه كان للرحمن عصياً، لإيضاح إسناد الخبر إلى المسند إليه، ولزيادة التنفير من الشيطان ؛ لأنَّ في ذكر صريح اسمه تنبيهاً إلى النفرة منه»⁽٣⁾.

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ١١١) .

(٢) المصدر السابق (٢٦/ ١٤٧).

(٣) المصدر السابق (١٦/ ١١٧).

جـ- وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩] يقول: و«عبد الله» هو محمد ﷺ، وضع الاسم الظاهر موضع الضمير، إذ مقتضى الظاهر أن يقال: وأنه لما قمت تدعو الله... ولكنه عدل إلى الاسم الظاهر لقصد تكريم النبي ﷺ، بوصف «عبد الله»، لما في هذه الإضافة من التشريف مع وصف «عبد» كقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾»[1].

وجملة القول: تكثر بلاغة «الإظهار في مقام الإضمار» في تفسير ابن عاشور، ولا غرو في ذلك، فالرجل قد وجَّه طاقته نحو الكشف عن إعجاز القرآن الكريم وبلاغته، ووظَّف في ذلك مختلف فنون اللغة وأساليبها.

---

[1] المصدر السابق (٢٩/ ٢٤٢).

الخاتمة

بعد أن وفقني الله عز وجل لإتمام هذه الدراسة فلعل من الأجدر أن نسجل أهم النتائج التي تَمَّ التوصل إليها، ومنها:

أولاً: أنَّ مصطلح «الإظهار في مقام الإضمار» أحد الأساليب البيانية القرآنية، وكان له عنايته وحضوره في مؤلفات المفسرين والبلاغيين قديماً وحديثاً.

ثانياً: كشف العلماء من مفسرين وبلاغيين أنَّ هذا الأسلوب لا يأتي إلا لغرض بلاغي وفائدة .

ثالثاً: التعريف الدقيق لهذا الأسلوب هو: أن يكون السياق يقتضي أن يُوتى بالضمير، ولكن يُوتى بالظاهر مكان الضمير .

رابعاً: أوردت الدراسة ثلاثة عشر غرضاً بلاغياً يُقام فيه الظاهر مقام الضمير في القرآن الكريم، وذلك بعد ضم النظير إلى نظيره .

خامساً: أبانت الدراسة أنَّ للسياق وقرائن الأحوال دوراً هاماً في كشف أغراض وأسرار الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم، ولا يمكن إغفاله .

سادساً: لفتت الدراسة الانتباه إلى أنَّ معرفة الأسرار البلاغية للإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم غير ميسورة لعامة الناس، بل لا بد من التبحر والاطلاع الواسع في علوم اللغة العربية بمختلف فروعها، ورحم الله الزركشي القائل: «وليس لغير العالم بحقائق اللغة ومفهوماتها تفسير شيء من الكتاب العزيز، ولا يكفي في حقه تعلم اليسير منها ...»(١) .

---

(١) البرهان (٢/٣٠٧).

سابعاً: استعرض البحث خلاف أهل العلم حول تحديد أسبقية الإظهار أو الإضمار، وخلص إلى نتيجة مفادها: إمكان الجمع بين الآراء المختلفة ؛ وذلك بالرجوع إلى تحديد نوع الضمير .

ثامناً: من فرسان هذا الأسلوب البلاغي من المفسرين: الزمخشري، وأبو السعود، والألوسي، وابن عاشور .

وإن كان هناك توصية في خاتمة هذه الدراسة فهي الاهتمام بالبلاغة التطبيقية للقرآن الكريم لندرك أسرارها وأساليبها، ونستخرج دررها البيانية، وعندها نتذوّق كلام الله المعجز .

هذا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع:

١- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق د/ مصطفى ذيب البغا، نشر دار ابن كثير، دمشق، ط-١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٢- أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (ت٥٤٣هـ)، تحقيق علي البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٥١هـ)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت .

٤- أسباب النزول، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق د/ عصام الحميدان، نشر دار الإصلاح، الدمام، ط-٢، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٥- الأشباه والنظائر في النحو، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط-١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م .

٦- أصول في التفسير، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، دار البصيرة، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٧- إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن النحاس (ت٣٣٨هـ)، تحقي د/ زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط-٣، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

٨- الإكسير في علم التفسير، لسليمان بن عبد القوي الصرصري الطوفي (ت٧١٦هـ)، تحقيق د/ عبد القادر حسين، نشر مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٧٧م.

٩- الأمالي، لأبي السعادات هبة الله بن علي المعروف بابن الشجري (ت٥٤٢هـ)، تحقيق د/ محمود الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط-١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

١٠- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر البيضاوي (ت٦٨٥ـ)، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت.

١١- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، لأبي حفص سراج الدين عمر بن زين الدين قاسم بن محمد النشار (ت٩٢٧هـ)، تحقيق د/ أحمد عيسى المعصراوي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر .

١٢- البرهان في علوم القرآن، لبدر لدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، حققه د/ يوسف المرعشلي وزميلاه، نشر دار المعرفة، بيروت، ط-١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

١٣- بغية المريد من أحكام التجويد، لمهدي الحرازي، دار البشائر الإسلامية، ط-١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٤- البلاغة فنوها وأفنانها (علم المعاني)، للدكتور فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان، ط-٣، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

١٥- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، نشر مكتبة القدسي، القاهرة .

١٦- التحرير والتنوير، لمحمد طاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، نشر الدار التونسة للنشر .

١٧- تفسير القرآن العظيم، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، ط-٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٨- تفسير القرآن الكريم، لمحمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٣هـ.

١٩- التفسير والمفسرون، للدكتور محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديث بالقاهرة، ط-٢، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

٢٠- تفسير النسائي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ)، حققه صبري الشافعي، وسيد الجليسي، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط-١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٢١- التلخيص في علوم البلاغة، لمحمد بن عبد الرحمن القزويني (ت٧٣٩هـ)، ضبط وشرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٠٢م.

٢٢- تلخيص المفتاح، لمحمد بن عبد الرحمن القزويني (ت٧٣٩هـ)، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر .

٢٣- الجامع لأحكام القرآن والمبيِّن لما تضمنته من السنة وآي الفرقان، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي بالاشتراك مع آخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط-١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٢٤- حلية اللب المصون بشرح الجوهر المكنون، لأحمد الدمنهوري، مطبعة مصطفى الباب الحلبي وأولاده، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.

٢٥- خصائص التراكيب: دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، للدكتور محمد بن محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، مصر، ط-٢، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٢٦- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (٧٥٦هـ)، تحقيق د/أحمد محمد الخراط، نشر دار القلم، دمشق، ط-١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٢٧- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، الناشر: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، ط-١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢٨- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لشهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق محمد سيد جاد الحق، نشر دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط-٢، ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م.

٢٩- دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط-٢، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

٣٠- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق عبد المعطي قلعجي دار الكتب العلمية، بيروت، ط-١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٠م.

٣١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود الآلوسي (١٢٧٠هـ)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت .

٣٢- الزيادة والإحسان في علوم القرآن، لمحمد بن أحمد بن سعيد بن

عقيلة المكي (ت١١٥٠هـ)، منشورات جامعة الشارقة، مركز البحوث والدراسات، ط-١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٣٣- شرح أصول في التفسير، لمحمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط-١٤٢٦،١هـ/٢٠٠٥م.

٣٤- شرح التسهيل، لجمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك (ت٦٧٢هـ)، تحقيق د/ عبد الرحمن السيد، ود/ محمد البدوي مختون، دار هجر، مصر، ط-١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٣٥- شرح الرضى لكافية ابن الحاجب، لمحمد بن الحسن الاسترباذي المعروف بالرضى (ت٦٨٦هـ)، تحقيق د/ حسن الحفظي، ود/ يحيى بشير مصري، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط-١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٣٦- شرح سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح (ضمن شروح التلخيص)، دار السرور، بيروت .

٣٧- شرح المفصل، لموفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (ت٦٤٣هـ)، عالم الكتب، بيروت.

٣٨- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، لأبي الحسين أحمد بن فارس (٣٩٥هـ)، تحقيق د/ عمر الطباع، مكتبة المعارف، بيروت.

٣٩- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ)، رقمه محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط-١، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.

٤٠- الصفوة من القواعد الإعرابية، للدكتور عبد الكريم بكار، در القلم، دمشق، ط-١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٤١- طبقات المفسرين، لشمس الدين محمد بن علي الداوي (٩٤٥هـ)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت .

٤٢- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى بن حمزة العلوي (٧٤٩هـ)، مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

٤٣- العجاب في بيان الأسباب، لشهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق د/ عبد الحكيم الأنيس، دار ابن الجوزي، الدمام، ط-١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٤٤- علل النحو، لأبي الحسن محمد بن عبد الله الورَّاق (ت٣٢٥هـ) ـ تحقيق د/ محمود جاسم الدرويش، مكتبة الرشد، الرياض، ط-١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٤٥- علم التفسير أصوله وقواعده، للدكتور خليل الكبيسي، مكتبة الصحابة، الشارقة، ط-١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م.

٤٦- فتاوى السبكي، لأبي الحسن علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٥٦هـ)، نشر دار المعرفة، بيروت .

٤٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، نشر مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر، ط-٢، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.

٤٨- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، إصدار المجمع

الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، عمان، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٤٩- فهرست مصنفات القرآن الكريم، إصدار مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٤هـ.

٥٠- فيض الفتاح على نور الأقاح، لعبد الله بن الحاج العلوي الشنقيطي (ت١٢٣٣هـ) بإشراف محمد الأمين بن محمد بيب، ط-٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٥١- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٦هـ)، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت .

٥٢- القرآن الكريم والدراسات الأدبية، للدكتور نور الدين عتر، منشورات جامعة دمشق، ط-٦، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٥٣- قطف الأزهار في كشف الأسرار، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق د/ أحمد الحمادي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، ط-١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٥٤- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت .

٥٥- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، منشورات مكتبة المثنى، بيروت .

٥٦- كلمة الحق في القرآن الكريم، للشيخ محمد بن عد الرحمن الراوي،

طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٤٠٩هـ.

٥٧- الكليات – معجم في المصطلحات والفروق اللغوية –، لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط-١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٥٨- اللباب في علل البناء والإعراب، لأبي البقاء عبد الله الحسين العكبري (٦١٦هـ)، تحقيق غازي مختار، دار الفكر المعاصر، بيروت .

٥٩- اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي (ت٨٨٠هـ)، حققه عادل عبد الموجود وزملاؤه، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط-١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٦٠- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين نصر الله بن محمد بن الأثير الجزري (ت٦٣٧هـ)، تحقيق د/ أحمد الحوفي، ود/ بدوي طبانة، مطابع الفرزدق، الرياض، ط-٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٦١- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد قاسم وابنه محمد، طبعة الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين .

٦٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ)، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٦٣- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، للدكتور مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، ط-٣، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٦٤- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض.

٦٥- مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ)، تحقيق د/ حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط-٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

٦٦- مشكل القرآن الكريم، لعبد الله بن حمد المنصور، دار ابن الجوزي، الدمام، ط-١، ١٤٢٦هـ.

٦٧- مصطلحات النحو الكوفي دراستها وتحديد مدلولاتها، للدكتور عبد الله بن حمد الخثران، دار هجر للطباعة والنشر، ط-١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٦٨- المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم، للدكتور عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٦٩- معترك الأقران في إعجاز القرآن، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق محمد علي البجاوي، در الفكر العربي، بيروت .

٧٠- معجم البلاغة العربية، للدكتور بدوي طبانة، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٧١- معجم المصطلحات في علمي التجويد والقراءات، للدكتور إبراهيم بن سعيد الدوسري، مطبوعات عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط-١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٧٢- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ط-٤، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

٧٣- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر، ط-٢، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

٧٤- مفاتيح الغيب، لمحمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ)، نشر دار الفكر، بيروت، ط-٣، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٧٥- مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي (ت٦٢٦هـ)، ضبطه وشرحه نعيم زرزور، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط-١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٧٦- مقدمة تفسير ابن النقيب، لأبي عبد الله محمد بن سليمان الشهير بابن النقيب (ت٦٩٨هـ)، تحقيق د/ زكريا سعيد علي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط-١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٧٧- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ت٧٠٨هـ)، حققه د/ سعيد الفلاح، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط-١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٧٨- الملخص في ضبط القوانين العربية، لأبي الحسين عبيد الله بن أبي الربيع الأشبيلي (ت٦٨٨هـ)، تحقق د/ علي بن سلطان الحكمي، لم يذكر مكان الطبعة، ط-١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٧٩- نظرات لغوية في القرآن الكريم، للدكتور صالح بن حسين العايد، دار اشبيليا للنشر والتوزيع، ط-٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

فهرس الموضوعات:

التصدير ٥

الملخص ٧

المقدمة ٩

أهمية الموضوع وأسباب اختياره ١٠

خطة البحث ١٣

الدراسات السابقة في الموضوع ١٤

المبحث الأول: تعريف بمصطلحات: الإظهار والإضمار ١٩

المبحث الثاني: مفهوم مصطلح «الإظهار في مقام الإضمار» وعلاقته بالخروج على خلاف مقتضى الظاهر ٢٢

المبحث الثالث: الإظهار والإضمار بين الأصالة والتبعية ٢٧

المبحث الرابع: الأغراض البلاغية لوضع الظاهر موضع الضمير في القرآن الكريم ٢٩

المبحث الخامس: المفسرون الذين اعتنوا ببلاغة «الإظهار في مقام الإضمار» ٦٤

الخاتمة ٧٣

المصادر والمراجع ٧٥

فهرس الموضوعات ٨٥

إصدارات

تأسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م
الوعي الإسلامي
AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

- القدس في القلب والذاكرة.
- حقوق الإنسان في الإسلام.
- المجموعة القصصية الأولى للأطفال.
- الحوار مع الآخر.. المنطلقات والضوابط.
- النقد الذاتي.. رؤية نقدية إسلامية لواقع الصحوة الإسلامية.
- المرأة المعاصرة بين الواقع والطموح.
- الحج.. ولادة جديدة.
- الفنون الإسلامية.. تنوع حضاري فريد.
- لا إنكار في مسائل الاجتهاد.
- المجموعة الشعرية الأولى للأطفال.
- التجديد في التفسير.. نظرة في المفهوم والضوابط.
- رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام.
- موسوعة الأعمال الكاملة للإمام الخضر حسين.
- مقالات الشيخ محمد الغزالي في مجلة الوعي الإسلامي.

- مقالات الشيخ عبدالعزيز بن باز في مجلة الوعي الإسلامي.
- علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي.
- براعم الإيمان.. نموذج رائد لصحافة الأطفال الإسلامية.
- الاختلاف الأصولي في الترجيح بكثرة الأدلة والرواة وأثره.
- الإعلام بمن زار الكويت من العلماء والأعلام.
- الحوالة.
- التحقيق في مسائل أصول الفقه التي اختلف النقل فيها عن الإمام مالك بن أنس.
- الأصول الاجتهادية التي يبنى عليها المذهب المالكي.
- الاجتهاد بالرأي في عصر الخلافة الراشدة.
- التوفيق والسداد في مسألة التصويب والتخطئة في الاجتهاد.
- فقه المريض في الصيام.
- القسمة.
- أصول الفقه عند الصحابة – معالم في المنهج.
- السنن المتنوعة الواردة في موضع واحد في أحاديث العبادات.
- الإعلاء الإسلامي للعقل البشري (دراسة في الفلسفات والتيارات الإلحادية المعاصرة)
- ديوان الوعي.
- خطب ابن نباته.
- الإظهار في مقام الإضمار.